

الرواية

مدير الإدارة

محمود الحفيف

برل الاشتراك

عن سنة

١٢٠ في مصر وسودان

١٥٠ في الممالك الأخرى

٥ ثمن العدد

صاحب المجلة
ومديرها ورئيس
تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة

٨١ شارع السنان

حسين بكايدين

تليفون ٢٧٤٩٠

مجلة أسبوعية لتقصص وروايات

نصدر في أول كل شهر وفي نصف

العدد الأول ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ - أول ديسمبر سنة ١٩٥٢ السنة الرابعة



من أحسن القصص

فهرس العدد

صفحة	
٢	في سبيل الأرض الغنية ... لأستاذ أحمد حسن الزيات
١٦	المسألة ... لتقصي الفرنسي جي دي موباسان
٢٤	كل شيء على ما يرام ... لأستاذ محمد عبدالمليم عبد الله
٢٩	حياة ... لتقصي الفرنسي جي دي موباسان
٤٢	لعنة ... لأستاذ يوسف جوهر
٥٦	أخفافيش ... لتقصي الإنجليزي هاري جرام
٦١	حريق القرية ... لأستاذ السيد حسن فزون
٦٦	الحامة الثالثة ... لكاتب التمسوي سايغان زغاي
٦٩	سوما ... لتقصي السريدي جونداس
...	أمارا سكير ...
٧٦	بنته الصغيرة ... لتقصية الخمسة ماري آشافتر
٨٠	فكر في الحل ...

فِي سَبِيلِ الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ

لِلْأُسْتَاذِ أَحْمَدَ حَسَنِ الزِّيَّاتِ

- ١ -

مبرا ، ولا يدركون في غيرها لذة : تلك هي الرغبة في التعقيب على أخبار القانون السعيد الذي سيملا القرى غنى كما ملأها الإقطاع فقرا ، وفي التعليق على خطب الزعيم الجديد الذي سيملا البلاد عدلا كما ملأها فاروق جورا . ولكنهم كانوا يحكم أميهم يتفاوتون في فهم ما يذيعه الراديو باللغة الفصحى ؛ فالقلة القليلة وهم المتعلمون وأنصافهم يفهمون كله ، والكثرة السكّرة وهم الأميون وأشباههم يفهمون بعضه . لذلك كانوا إذا ما أسكتوا المذيع يمدون أعناقهم إلى المصطبة الطويلة التي يجلس عليها كبار القوم ، وينشرون آذانهم إلى ما يقول الشيخ محمود بلغة العامة ، ترجمة عما قال المذيع بلغة الخاصة . حتى إذا فرغ الشيخ من التلخيص ، وأعانه الشيوخ الآخرون على الشرح ، انثالت الأسئلة على المصطبة ، وانتهت الأجوبة على الساحة ، وأخذت الناس حال من الحماسة تكاد تخرجهم من جلودهم الفليضة ، وتغلبهم على عقولهم الرزينة . هذا يرهوه

لم يكد المصلون يفرغون من صلاة العشاء في مسجد القرية حتى ابتدروا الباب يريدون الخروج . لم ينتظروا ختام الصلاة المفروضة مع الإمام ، ولا أداء الصلاة السنوية بعد الختام ؛ وإنما خرجوا وعلى وجوههم اهتمام ، وفي حركاتهم نشاط . لقد كان موعد النشرة الإخبارية الثالثة التي تذاع في منتصف الساعة التاسعة قد قرب . والفلاحون منذ سنت حكومة الثورة قانون تحديد الملكية ، حراس على أن يجتمعوا كل ليلة في ساحة المدة يستمعون إلى الراديو وهو يذيع أخبار هذا القانون ، من تفصيل مجمل ، أو تفسير غامض ، أو تعديل نص ، أو تنفيذ قرار . فإذا فرغ مذيع المحطة من خبره ، أو مندوب الحكومة من حديثه ، لم يجدوا في أنفسهم ما كانوا يجدون قبل اليوم من الرغبة الشديدة في الاستماع إلى قصائد أم كلثوم ، أو إلى أغاني عبد الوهاب ؛ وإنما وجدوا مكانها رغبة أخرى لا يملكون عن قضائها

أبناء (قولة) فيما اغتصبوا بيضة قرون .
فلما انتقل المذبح إلى أحداث الحرب في كوريا ،
وأبناء الثورة في كينيا ، أقتلوا الراديو وأقبلوا
بأبصارهم وأسماعهم على أهل المصطبة . ولم تنكد
العيون تتلاقى حتى سرى منها إلى القلوب
سيال من التمور المتقد المتحد حرك الألسنة
بالهتاف ، وشغل الأيدي بالتصفيق ، وأخرج
الشباب عن طورهم فأخذوا يتبادلون اللسكات
والركلات على عاداتهم حين يستخفهم الفرح .
أما الكهول فظلوا في مقاعدهم هادئين هائنين
يتمتعون بما أثمرهم هذا النبا العظيم من برد
السرور وحلاوة الغبطة ؛ لأن انقضاء أكثر
العمر في عبودية المالك وذلة الفقر طبع
نفوسهم على التسليم بالواقع والرضا بالمكروه ؛
فالحلم أشبه بحال السجناء حين يتلقون أمر
الإفراج ، أو الأرقاء حين يسمعون صيغة
العتق ، لا يربطون ولا يعبطون ؛ وإنما يقابلون
الأمر ببشاشة المطمئن وانقسامه الشاكر .
ذهب أكثر الشباب إلى الحقول القريبة
بنفسون فيها بالمرح الصاحب عن الفرح
المكثوم ، ويتلذذون برأى الأرض وهي ملك
كما كانوا يتألمون برآها وهي سخرة . وبقي
أقلهم أمام المصطبة مع الكهول ، يتذكرون
ما كانوا عليه ، ويتفكرون فيما ساروا إليه .
وكان الحاج إبراهيم خولي التفتيش القديم
يتصدر المصطبة في غياب العمدة ؛ لأنه أكبر

الشموخ الحادث فيملن الاحتقار للمالك
الأرض . وذلك يملكه الحقن القديم فيسر
الانتقام من ناظر الزراعة . وهؤلاء
رجون أن يقع ما يملكون في الأحواض
الخضبة . وأولئك يخشون أن يقل
ما يأخذون عن الفدادين الخسة . ثم ينصرفون
جميعا إلى دورهم مثني أو ثلاث أورباع ،
وهم يملكون ما تبادلوا من الأحاديث ،
ويعملون ما تخيلوا من التي ، ويرسلون أعينهم
في ضياء القمر الزاهر إلى الحقول الكاسية
بسيقان الرز وأعواد الذرة ، فتملكهم هزة
الطرب فيصيحون وهم يرقصون ويصفقون :
أحقا ستصبح هذه الأراضي لنا ؟

— ٢ —

وفي تلك الليلة التي رأيناها فيها
ينصرفون سراعا من بيت الله إلى بيت العمدة ،
كان الراديو يذيع أن اللجنة العليا لتنفيذ
قانون الإصلاح الزراعي قد استولت على
ما فوق المائتي فدان من أراضي الملك الخليل
المخلوع وآل بيته ومن استار سيرتهم في
الترف والسرف والطغيان والجور . وكان من
بين هؤلاء مالك الأرض التي خلق الله
أجسادهم وأرواحهم منها ، وأعاد أجسادهم
وآباءهم فيها ، وجعلها لهم ولأبنائهم مستودع
الذكريات والثرات ، ومستقر الحياة والرزق ،
ومستراح الموى والأمل ، قبل أن يغتصبها

أو أكثر . فالتفت إليه الحاج يقول وعلى وجهه مسحة الأسى ، وفي صوته رنة الأسف :
ليت جديك يا محمد كان حيا اليوم فيسمع بأذنيه
الراديو وهو يتقل إلينا هذه البشري ، ويرى
بميينه الحكومة وهي توزع علينا هذه
الأرض ! إذن مات ميتة السعيد الذي
صبر فقال ، وسعى فأدرك ، واستغنى فشكر !
فقال له الشيخ محمود : ولماذا تخلص
المرحوم المهدي بهذا التمتي وأهل البلد كانوا
جميعا في مثل حاله ؟

فقال الحاج للشيخ وقد وقف منزله
وتردّن في لهجته وأقبل عليه بوجهه : لأن
المهدي يا أستاذ مات شهيدا في سبيل هذه
الأرض الطيبة . فقال الذين لم يعاصروا
المهدي ويريدون أن يعلموا أمره ، والذين
عاصروه ويحبون أن يستعيدوا ذكره :
قص علينا يا حاج ماذا كان من حديث
البهلول واستشهاده في سبيل هذه الأرض ؟
فقال الحولي القديم وهو ينزع الصوف
الندوف من بئناه ، ويضع الغزل كله في
يسراه :

كانت هذه الأراضي لنا منذ أنشأنا الله
منها ، وجعل حظنا من الرزق فيها ، حتى
اغتنبها محمد علي فيما اغتصب ، ثم ردها إلينا
سميد صديق الفلاح فيما رد . فلما تولى الخديو
إسماعيل وفسق في البلاد فسوقه الفاجر ،

القوم سنا ، وأكثرهم بالزراعة علماء ، وأطولهم
لموظفي الدائرة صحة . وكان قد هدف إلى
التمانيين ، ولكنه لا يزال سليم البدن صحيح
العقل ذكي الفهم طلي الحديث مهيب الطلعة ؛
تحسب وجهه الأسمر ، بين كلبوشه الأدكن
العالي ولحيته الشبيهة بالرسلة ، وجه درويش
من دراويش الفرس بدت عليه سمات الصلاح
وغيايل السكينة . وكان منذ علاه الشيب
وخفت عنه أعباء العمل قد قسم يومه بين
المسجد والمجلس ، فلسانه لا يفتر عن الذكر
أو الحديث ، ويده لا تفارق المسبحة أو
الغزل . وكان أحب الأحاديث إلى نفسه
ما اتصل بالقرية ومن عاش فيها من الأخيار
والصالحين ، أو بالأرض ومن تعاقب عليها من
الملوك والموظفين . فحافظته سجل واع لما وقع
في البلدة من أحداث وما طرأ عليها من تغير
في خلال قرن من الزمان ، إن لم يكن فيه
شاهد عيان فقد كان راوي خبر . لذلك تراه
إذا تشقق السمر وتشاجن الحديث يعقب
على كل نادرة بنادرة ، ويملق على كل حكاية
بحكاية

- ٣ -

كان الحاج إبراهيم مخوض مع الخائفين في
حديث التملك والتوزيع حين سمع محمدا حفيد
المهدي البهلول يظهر النبطة ويحمد الله على
أن سيكون له في نرى قريته الحبيبة فدنان

ويعمل الفلاحون فيها (تخلى) بالأجر .
وكانت أجرة العامل سبعة مليات في اليوم ،
وفدانا من الأرض يستغله أهله في السنة .
ثم تنقلت ملكية القرية وأهلها من آل
شريف إلى أجناس شتى من الملاك ، فيهم التركي
واليوناني والصري ، حتى انتهى بعضها إلى
وحيدسري ، وبعضها إلى البدرأوى .

فأتم زون أننا فقدنا السلطان على أرضنا
وأمرنا قرابة قرن من الزمان تسبنا فيه طعم
الملكية ولذة الحرية وعزة الاستقلال .
فأصبحنا كما رأينا المالكين يبيعوننا بيع
البيهم ، يشتروننا اشتراء العبد ، ويستغلوننا
استغلال الآلة ؛ وكما سمعنا أن فلاحين في
المرآكز الأخرى لهم أرض يملكونها ،
وزرة يدبرونها ، وغلة يخرجونها في دورهم ،
ويتصرفون فيها بأنفسهم ؛ أقول كما رأينا
ذلك وسمعنا هذا استقمنا القلة ، وأحسننا
الحرمان ، وأدركنا أننا بعداء عن الشعب
ونحن منه ، وغرباء عن الوطن ونحن فيه .
وكان المهدي عليه رحمة الله أسدنا ألما من
هذه الحال ، وأكثرنا هاجسا لهذا الأمر ؛ لأنه
كان عبدا من عباد الأرض المخلصين ، يكاد لا
يرفع يديه منها ، ولا يعمل الجولان فيها ، ولا يسأم
الحديث عنها . يعرف أحواضها قطعة قطعة ،
ويميز فتامها سبها سبها ، ولا يخفى عليه من
قريبها ولا بعيدها شيء في غيبط ولا ساحل .

وأسرف في أموال الدولة إسرافه الفاحش ،
ركبه الدين الفادح ، وأعجزه الاقتراض
المسعف ، وأعوزه المورد الغياض ، كان
يفرض الضرائب الباهظة على الأراضي
خصبها وجديها ، ويكلف عماله في الأقاليم
أن يجبوها مرارا في السنة الواحدة . وكانوا
إذا لم تف غلات الأرض بتطالب الخديو
المرهقة ساموا أصحابها سوء العذاب ، فجلدوا
بالدوط ، وحبسوا في الدوار ، وهجموا على
الحظيرة والدار ، ولا يعصم ملاك الأرض
من كل أولئك إلا الفرار منها أو النزول
عنها . وأجدادهم رحمهم الله قد قضوا أن
يغزوا عن أراضيهم للحكومة على أن
يخرجوا من ديارهم ، وهي كما تعلمون ملاعب
الصبا ، ومسارح الشبية ، وبحالي الأجابة
ومدافن الأهل . وكان يوم استيلاء الحكام
عليها يوم فرح في القرية دوت فيه الطبول ،
وصدحت المزامير ، وجلجلت الزغاريد ،
وأصبح الناس بعدة آمنين لا تفرغهم حياة
ولا روعهم جنود . وجعل إسماعيل هذه
القرية وست قرى أخرى بمركز طلخا
قطيعة لشريف باننا ورثها عنه ابنه علي
شريف . فلما توفي توارث أقسمها أولاده بينهم
فكانت قريتنا من نصيب ابنه عز الدين .
وكانت الأرض في عهد شريف وذريته تزرع
(وسية) بدير الأرناءود شؤونها بالكرباج ،

فبيعه ، ولم يفضل من أجرته شئ قيد خره .
إن القطن وأكثر محصول الحقل لمالك أرضه ؛
وأجرته والقروش التي تمر على يده من أثمان
البيض أو السمن لنفقة بيته ، والدين الذي عليه
لتاجر القماش من جلايب العيد يوفيه من ثمن
كيلات من القمح يقطعها من قوت أولاده .
إذن لم يبق له من وسيلة لشراء الأرض إلا
معجزة من الله تدركه ، أو كثر من المال
بصيه .

وكان المهدي ينتظر هذه المعجزة في ليلة
القدر من شهر رمضان ، ومن بقلة العشر
في شهر المحرم ؛ ولكنه وأأسفاه بعد طول
الانتظار ودوام الترقب لم تنفتح له (الطاقة)
في السماء ، ولم تفكر فيه (البغلة) في
الأرض !

وفي عصر يوم من أيام الربيع ، والربيع
فصل الآمال والوعود ، عاد الهلول من
النصورة يطفح وجهه بشرا وبقبض صدره
بهجة . ولم يكذبزل عن حماره حتى دعا
إليه عنبرته وجيرته ، فلما اجتمعوا لديه قال
لهم بصوت البشير إذا حل الخير ، وبلهجة
الرائد إذا حمد النجعة : إني سمعت اليوم في
النصورة أفندي يقولون إن الحكومة قررت

وكننا إذا فك المالك الأرض ليعبثوزيمها
على المستأجرين تركناه أمر القسمة ، فيوازن
الحريض بالموض ، ويقارن القطعة بالقطعة ،
ويعادل الفدان بالقدان ، ويقضى في
ذلك الشهر أو الشهرين ، ينتقل من مصطبة
إلى مصطبة ، ويتقلب من جرن إلى جرن ،
لا يحف له ريق ، ولا يخفت له صوت ، حتى
يستولى كل مستأجر على أرضه .

كانت أمنية المهدي على الله أن يملكه قطعة
من ثرى النيل بقصر عليها جهده وخبرته ،
ويقوت منها ما يشته وأسرته ، ويغطي بها
شوقه الملح إلى أن يكون إنسانا له كرامة ،
ومال كاله نفوذ ، وزارعا له رأى .

ولم يمنع المهدي بوساوس الأظاع وأحاديث
المنى ، وإنما كان يتغنى الوسائل إلى تصديق
أحلامه وتحقيق آمانيه . كان يسأل كل طارىء
على البليدة عن ثمن الأراضي في جهته ، وعن
مقدار المعجل والمؤجل من هذا الثمن ،
فكانت الأجوبة كلها تتفق على أن ما عنده
من المال لا يبلغه بعض ما في نفسه . وماذا
كان عنده ؟ إسورة من الذهب لامرأته ثمنها
عشرة جنيهات ، وعجلة من بنات جاموسه ثمنها
عشرة أخرى . أما النقد فن أين يأتيه
وكيف يستقر عنده ؟ لم يدخل بيته قطن

- ٤ -

وعاد الحاج يقول :

بات أهل القرية تلك الليلة ولا حديث لهم إلا خبر الهدى ووادي الريان . وكان كل رجل في كل منزل يدير الرأي في هذا الأمر فيما بينه وبين أهله : كيف يتركون بيته عرفوها ومعيشة ألقوها إلى بلد بعيد ليس لهم فيه قريب ولا عندهم به علم ؟ وكيف ينصرفون عن حياة معلومة مستقرة فرارا من عسر قد يهون ، إلى حياة مجهولة قلقه طمعا في يسر قد لا يكون ؟

ومن الذي قدر الأرزاق وقسم الحظوظ ؟ أليس هو الله جل شأنه ؟ ورب ههنا رب ههناك . وإذا كان الرزاق الكريم قد شاء أن يبدلنا عنى من فاقة ، وملكا من إجارة ، فإنه قادر أن يهيئ الأسباب إلى ذلك من غير حاجة إلى احتيال ، أو ضرورة إلى هجرة . ومن المجيب أن القوم كانوا في هذه الاعتراضات لسانا واحدا كأنما لقنهم إياها ملقن واحد !

والواقع أن في صدر كل مصري شيطاناً يلقي في أمنيته كلما غنى ألا يفترق عن أسرته ، وألا يعتمد على قريته ، وألا يفترق عن وطنه . فالفلاح يرضى في بلدته المعيشة الضئيلة ولا يلتبس العيش الرعيد في إقليم مجاور . والتاجر يقتنع في مدينته بالربح اليسير ولا يطمح في مدينته

أن تنبج الفلاحين (وادي الريان) ^(١) بثمن مقسط على آجال بعيدة ؛ ولهم عليها أن تدبر الماء ، وتبنى الدور ، وتعطى البذور ، وتقرض المال ، وتهب الماشية .

فساح القوم أجمعون بلسان واحد : وأين وادي الريان هذا يا بهلول ؟ فقال : سألتهم هذا السؤال فأجابوا إنه في جهة الفيوم .

وهنا سكك الحاج إبراهيم ليقول لصاحب المصطبة في شىء من الإنكار : أين الشاى يا شيخ عبد العزيز ؟

فقال شيخ البلد وعويسعى إلى داره ليهيئ الشراب المطلوب : إى والله يا حاج ! إنك لتستحق أكثر من الشاى على هذا الحديث ومررت برهة تبادل فيها الجلوس السكار وعقبوا على بعض نواحي الحديث ، حتى جاء الخفير يحمل النقيع الأسود في قدر كبيرة ، فارتشف القوم أقداحه في التذاذ وسهم ؛ ثم عادوا يرهفون المسامع لقااص الوقور ويقولون له : هيه ، هيه ، يا حاج !

(١) كان مصدر هذه الشائعة الكاذبة ماسرته الصحف يومئذ عن التقرير الذى قدمته لجنة المهندسين الدوليين سنة ١٨٩٤ إلى الحكومة المصرية ، عن استعداد وادي الريان في تخزين ماء النيل زمن الفيضان بترعة تمتد من النهر إلى الوادي ، حتى إذا غامر النيل وأدرك فرعيه الجفاف أطلقوا فيه ذلك الماء الخزون فيساعده على أن يروى مليون فدان من الأرض بحدود

بطل المهالين إلا في السواد والقروسية .
أما في صفات الرجولة الأخرى فقد كان
يشابهه أو يقاربه . كان أسمر اللون في ملاحظة
وجهه ؛ وكان شجاع القلب في سماحة خلقه ؛
وكان حشن المراس في دماثة طبعه ؛ وكان على
الجملة أنسبه بفارسان قصة عنبرة الذين تسمعون
بهم ، يجمع بين قسوة الجوارح ورقة المشاعر .
فهو من جهة يشارك عند الضرورة في السطو
بالليل ، ويبلغ يوم الحصومة في الحقد على العدو ،
ويجيد الضرب بالنبوت والخبط بالفأس ؛
وهو من جهة أخرى يعشق الطرب ، ويهوى
الغناء ، ويحسن التفرغ على الطلعة والزمر بالأرغول
والصنوبر بالناي . ومن أجل ذلك كان موضع
الإعجاب من الرجال في المركز ، ومهوى أفئدة
النساء في القرية

وأمس الزهو الذي كان يملأه من
احترام الفتيان له ، وافتتان الحسان به ، كان
بعد طبيعته الطموح الحافز الثاني الذي كان
يدفعه إلى العمل ليقتني ، وبقره بالغنى ليملك ،
ويطمعه في الملك ليكون أعلى مكانة في أعين
الناس ، وأجل كرامة في رأى نفسه .

واند سبحت له الفرصة في الهجرة إلى
وادي الريان لمبلغ غايته ، ونيل مراده ، فكيف
يدعها تفلت ؟ وهل يليق بأهل الفتوة أن
يستكبروا لمخالف تحقها الأوهام ،
ووساوس تبعثها الظنون ؟ إن أرض الله

إلى الثراء الضخم . والموظف يحزنه أن
ينقل إلى عمل بعيد عن قريته إذا كان في الريف ،
أو عن مسكنه إذا كان في الحضر . والسالك
يشق عليه أن ينتقل من بيت مهتم
في قدر طالت سكناه فيه ، إلى بيت
جديد في حي نظيف استجدت صلته به .
فإذا تساربت أهواء القوم على رفض التزوج
إلى صحراء القيوم كان ذلك استجابة لهذا
الشیطان الذي سدنا عن حواضر السودان
وهي حبيبة ، وصرفنا عن بوادي النيل
وهي قريبة !

كانت هذه الوساس تنتقل من فم
إلى فم ، ومن دار إلى دار ، حتى تصل إلى
أذن المهدي في منزله بطرف القرية ، فكان
يفندها مستمعينا بما سمع من آيات الله ،
وبما حفظ من أمثال الماضين ، وبما روى
من أشعار المهالين . ولكن القوم لم يلقوا
أسماعهم إليه وفضلوا أن يترشوا حتى يذهب
غيرهم إلى هناك ، فيروضوا الأمور ، ويدللوها
الصعاب ، ويخمنوا مكاره البدء .

ولم يرد المهدي أن يُسمع غير سميع ولا
أن يقنع غير مستعد ، فأثر السكوت وصمم
في نفسه على أن يكون هو (أبو زيد المهاللي)
بطل (الريادة)

والحق أن المهدي كان لا يختلف عن

واسمعة فلم يرضى بالضيق ؟ وإن رزق الله
كثير فلم ينع بالقلّة ؟ وإن البؤس الذي يعيش
هو وقومه فيه قد بلغ الحد الذي لا سوء بعده ،
فكل تحول عنه لا بد أن يكون إلى أحسن .
وماذا بضره إذا اتّجمع هذا المكان المجهول ،
فإن أصابه الخير اطمأن به ، وإن أخطأه
التوفيق انقلب إلى أهله ؟

— ٥ —

كنّا في أواخر شهر مايو والفلاحون
قد أوسكوا أن يفرغوا من حصاد التمّح ، فلم
يبق في حقوله الجرد إلا جماعات مبعثرة هنا
وهناك قد أحرها سمّة الأرض أوضيق ذات
اليدي . وكان المهدي قد حصّد أول الناس ؛
ولكنه كان مدينا بزمال في الحصد ليمض
جيرانه ، وأراد أن يوفيههم هذا الدين قبل
أن تحول الأحداث دون الوفاء به ، فخرج مع
الحصّادين في المزيغ الأول من الليل ، في يده
منجله ، وعلى كتفه رداؤه . وكان قبل أن
يخرج من داره قد لبس أحسن ثيابه ، وقبل
يدأمة ، وعانق إخوته ، وودّع زوجته وابنته .
ثم أمر أخاه الأصغر أن ينتظره بالحمار والخرج
في مدخل سكة السوق بعد صلاة الفجر .

لقد كان مجلس العائلة قرر أن يرحل
المهدي وحده إلى وادي الريان ، فيمكث
الأرض ، ويختار البيت ، ويسلم الجاموسة ؛
ثم يرسل إليهم فيلجئون به

وبات المهدي ليلته الأخيرة في القرية
بمحصّد ، ويغنى ، ويغازل ، و(ليلاه) من ورائه
نم الحصيد وتكومه أكواما صغيرة ؛ ثم
نمّس عمدا كعبه الخشن بيدها الناعمة من حين
إلى حين ، تريد أن تنبهه إلى وجودها من
خلفه . ولكن المهدي كان مصروف الفكر
عن حوله . كان يغمى لسامع بعيد ، ويتفرّج
بجيب مجهول ، ويتفكر في دنيا جديدة ،
وينظر من آتة إلى أخرى في نجوم الشرق
يبحث بينها عن نجمة الصباح .

وأخيرا هتكت يد الفجر أستاره
الوردية ، ونبشّ النور ، وهلت الديكة ،
ولعلّ صوت (أبو عامر) على سطح المسجد
الصغير يقول الله أكبر ! الله أكبر !
فترك المهدي منجله ورداءه إلى ليلي وذهب
ليتوضأ ويؤدى ركعتي الصبح .

وبعد قليل كان على حمّاره في الطريق
إلى طلخا ، تحته خرجه ، ووراءه أخوه .
فلما بلغ المحطة كان قطار الساعة السادسة
على وشك القدوم ، فاشتري تذكرة
إلى القيوم ، ثم اتخذ مقعده بين الركاب .
ولم يكده يستقر فيه حتى استغرق في نوم
عميق ما كان يوقظه منه إلا صوت مأمور
القطار يطلب منه التذكرة من محطة إلى
محطة . وفي طنطا نهوه أن ينتقل إلى قطار
القاهرة فاشتغل . وكان قد أحس الجوع

يعتسف الأزقة والشوارع لا يعرف مكانا يأوى إليه ، ولا يقصد إنسانا يسأل عنه، حتى دفع إلى بحر يوسف، وهو النهر الذي يخترق المدينة، واتخذ سبيله في الشارع الواقع على شاطئه الأيمن حتى بلغ ساحة فسيحة تظللها الأشجار، ويسكن فيها التجار، ويتطرح في جنباتها العمال والباعة يسترفهون من الإعياء، ويستروحون طراوة المساء، ويناقش بعضهم بعضا أحاديث الناس وأخبار المدينة .

التقى المسافر الغريب خروجه بجانب سور التربة الآخذة من البحر في شرف الساحة ، وأطلع قبل أن يقعد فرأى ساقية عظيمة تدور فترفع الماء من غير بكرة ولا مكينة . فعجب كل العجب ، وحاول أن يعرف سرها فلم يستطع ؛ فاستشر بذلك ، وأيقن أن سواقى وادى الريان كلها من هذا الطراز ؛ وتمنى أن تكون النوازل والمحارث كذلك ؛ فإن في هذا الطراز اقتصادا في جهد البهيمة بكثير الشحم ويدر اللين . ثم وجد في نفسه الحاجة إلى الطعام فأخرج من الخرج فطيرا وجبنا وأكل حتى شبع . ثم أشعل سيكارة وأخذ يفكر في الفد المجهول ويقول لنفسه :

ليت شعري إذا أسفرت هذه الريادة عن صدق ذلك الخير ، أتلتحق بي أمرتي وحدها ، أم تهاجر معها قيتي كلها ؟

فأدخل يده في الخرج وأخرجها بقرصة من الفطير وقطعة من الجبن فأفطر . ثم تحلل به النعب والسهر فوضع رأسه على رأس المستد ونام .

ولما وقف القطار في محطة القاهرة نزل جميع المسافرين ولم يبق في العربة غيره . فسأل أحد الحمالين : أهذه هي الفيوم ؟ فأجاب : هذه هي القاهرة . فإذا كنت تقصد الفيوم فاسأل عن رصيف الوجه القبلي وامكث هناك حتى يقف عليه قطار الصعيد فاركب فيه .

حمل المهدي خروجه ونزل من العربة ، ومضى يسأل الناس عن رصيف الصعيد ، فبعضهم يمشى ولا يجيب ، وبعضهم يشير ولا يتكلم ، حتى وجد رجلا يحمل زكينة وكريكا، فسأله فقال له : تعال معي . فمشى معه المهدي وانما بين عينيه غرضه ، فلا يفكر ذات اليمين ولا ذات الشمال ، ولا يذكر أنه الآن يتنفس هواء القاهرة التي يسمع أن فيها آل البيت وحديقة الحيوان وأهرام الفراعنة ، حتى دخل هو ورفيقه في رحمة المسافرين الصاعدين ، فخط كل منهما حمله وقعد بجانبه حتى جاء القطار .

— ٦ —

دخل المهدي مدينة الفيوم في الليل وليس له بها معرفة، ولاله فيها صديق ؛ فمشى

فتوضأ ثم عاد فصلى وأفطر . وانتظر
حتى هبت القيسوم من الرقاد ، ودبت في
مسالك الحياة ، ثم دنا من رجل وقور
توسم في وجهه الخير وسأله :

كيف الوصول إلى وادي الريان ياسيدي ؟
فأجاب الرجل سهوتا وهو يفكر :

وما وادي الريان هذا ؟ ليس في إقليم
القيوم كله مدينة ولا قرية بهذا الاسم . لعنك
تقصد بركة فارون ؟

فقال له المهدي مستفهما : وما بركة
فارون هذه ؟ لم يرد في الخبر الذي سمعته في
المنصورة . مكان بهذا الاسم . أريد
وادي الريان الذي توزع الحكومة أرضه
على الفلاحين ، وقد قالوا إنه في مديرية القيوم .
فقال له الرجل آسفا : سل غيري يا أخي
فربما كان يعلم .

ولم يسترب البهلول في شيء إلا في
علم الرجل . فتركه ومضى متحسدا
مع بحر يوسف يسأل الهابط والصاعد عن
وادي الريان فلم يجد علمه عند أحد ، حتى بلغ
قرية (الفدعين) جلس ليستريح ويتعدي .
وكان يختار لسؤاله التكرار ذوى العمام
واللبدو الطواق من أهل طبقته لأنه عليهم أجراً
وبهم آس . فلما لم يجد عندهم الجواب التفت بداله
أن يستفهم أحد الأفندية . وقادته المصادفة
إلى موظف مثقف سأله فأجاب :

وإذا بقي أهل القرية هناك ، وظلت أنا
وأسرنا هنا ، فالدة الأرض الملك إذا لم يرها
الصديق فيفرح ، أو المدو فيحزن ؟

وهل يبلغ المرء من الهوان والضعمة أن
يفضل العيش في بلدته وهو عبد ، على العيش
في غيرها وهو سيد ؟

صحيح أن ميراطا في أرض بلدك ،
خير من قدان في بلد غيرك ؛ ولكن كيف
السييل إلى امتلاك هذا القيراط وأرضنا بين
(باشا) يستحيل عليه أن يكف عن الشراء ،
و (أمير) يستحيل عليه أن يفكر في البيع ؟
على أنني متى أرجع إلى القرية زائرا ورا في
الناس أمشي في الحذاء المفصل ، وأخب
في الصوف الفاخر ، وأتافع بالحرير الأصيل ،
وأعامل بأوراق النقد دوات المأذنة ، لا يلبثوا
أن يقطعوا عزهم عن الهجرة

وأشرق الأسفل في صدر البهلول
وتشوقت نفسه إلى تحقيقه ؛ وتحقيقه
لا يبدأ قبل الصباح ، وبينه وبين
الصباح هذا الليل البئيل الطويل ، فرأى أن
يقصر بالنوم . فاستلقى على الأرض ، حوجه
تحت رأسه ، ولفاعته حول عنقه ، وهرأوته
في يده ، ثم نام مل عينيه .

وفي مطلع الفجر استيقظ على عادة ،
فوجد الشوارع ساكنة والنازل ساكنة
والحوادث مغلقة ؛ فقام إلى الترعنة

وزلت في أوسع مكان من قلبي ؟
ولكن لماذا أياأس من الأمر لدى أول
سؤال ؟

لم لا يكون هذا الأفندي من الذين يُلذّم
أن يحبوا عن كل سؤال بأي كلام ،
فيفتوا من غير علم ، ويشيروا من غير خبرة ؟
وبعث فيه هذا الشك روحا من
النشاط شغل خرجه وسار بتقل من
قرية إلى قرية ، ويسأل رجلا بعد رجل ،
وكلهم كانوا يجيبونه إجابة التبخ الذي سأله
في اليوم ، أو إجابة الأفندي الذي سألته في
القديم . فلم يبق لديه شك في أن خبر
المصورة كان أفكك أقاله وقرية مقرر .

وتعاقبت على خاطره الحقائق والأحلام ،
فتارة كان يرى العودة إلى قرينته ليستأنف
حياة الشقاء ، وتارة كان يرى التجوال في
هذه البلاد الكثيرة الأطيان القليلة
السكان ، طلبا للفنى وطمعا في الملك ؛
حتى إذا اغتنى أو امتلك رجع إليهم بالمال
أو أقدمهم عليه للملك .

وكان الخرج قد خلا من الزاد ،
والكبس قد صفر من النقود ، فاضطر
المهدي أن يؤجر نفسه يوما بعد يوم
لأعمال الفلاحة ليعيش

وانفق ذات يوم أن كان عمله عند رجل
من الفلاحين واسع الخبرة بالزراعة ،

وماشأنك بوادي الريان ؟ فقال : علمت
أن به أرضا للحكومة تريد أن تبنيها
الفلاحين بثمان قليل . فقال له الرجل
وملامح وجهه تترجم عن عجبته :

إن وادي الريان يقع في الجنوب الغربي
من الفيوم ، وهو واد منخفض يجذب
لا يثبت به زرع ، ولا يعيش فيه حي ، ولا
يسافر إليه أحد . وكل ما أعلمه من أمره أن
وزارة الأشغال تريد أن تجعله خزانة للنيل ،
تلاؤه منه وهو يفيض ، ثم تفرغه فيه وهو
يفيض ، فيظل ماء النهر طاميا طول السنة .
فبنت المهدي وشخص بمصر وأقام لا
يطرف . ثم انصرف عن الأفندي دون أن
يمقب على جوابه ورجلاه لا تكادان
تحملانه من هول الصدمة ؛ ومشى
متساقطا من الهم حتى بلغ جدارا جلس في
ظله وأخذ يحدث نفسه بصوت يكاد يسمعه
السائر يقول :

يا خيبة المسمى يا ضيعة الأمل ! ماذا
أقول لقوى وقد وعدتهم الوعود ، ومنيتهم
المنى ، وجعلت لهم البر عسلا والبحر
طحينة ؟

أعود ثانية إلى الملك يبيع في ويشترى ،
وإلى الناطق يقات على ويفترى ! أينقطع
الزجاج الأخير في أن أملك قطعة من
الأرض الطيبة التي استأثرت بحبي ،

ولكن أباهما كان يرفض أويوسف، لأن نيتته كانت أن يزوجها من فتى كريم مستقيم ينزله منه مائة أدين، فيسا كنه في البيت، ويعاونه في الغبط، ويعاضده في القرية. ولكن عنوان أحد الخطاب كان ظاهرا ملحاحا لم ينس من خطبته تسويق حمدان ولا إعراض فكيفه. كان يلتفتي الوسيلة إلى حب البنية بالهدايا في كل مناسبة، وبلغت السبل إلى رضا الأب بالمساعدة في كل عمل؛ ولكن فكيفه لم تجد في عنوان الزوج الذي تحبه، وحمدان لم يرق فيه الصهر الذي يرضاه. ومضت الأيام على هذه الحال حتى دخل المهدي عضوا جديدا في هذه العائلة الصغيرة. وكان من طبيعة المهدي كما علمت أو سمعت الجد في العمل والصدق في النية والإخلاص في العشرة. فدير أمور الزراعة تدير ابن الأرض الذي يجلد لفته في خدمتها، وسعادته بين تربتها. فوقع ذلك من نفس حمدان موقع المسرة والغبطة؛ واستبشر أن يكون المهدي هو الابن الذي ينتظره والصهر الذي يرجوه. وسرى إعجاب المالك بأجيره، إلى زوجته وابنته، فبالفت الزوجة في العناية به، ورعت البيت في التودد إليه. ورخص الوالدان لفكيفة أن تقوم على شؤونته الخاصة، فتفضل ثيابه، وتنظف فراشه، وتهني طعامه، وترقه عنه بالحديث إذا ما راح متعبا من أعمال اليوم.

طويل التجربة للزراع، فأعجبه من المهدي متانة عضله، وقوة جأده، وضربة فأسه، وقبضة محراثه، فمرض عليه أن يشتغل عنده مشاهرة ثلاثة جننيات غير المظم والملبس والسكن. فقبل التهاول العرض إلى أن يستبين به الأمر، وينكشف أمامه المستقبل.

— ٧ —

دخل المهدي دار حمدان كما دخل موسى دار شعيب. كان حمدان رجلا كبير السن، رقيق البدن، حسن الحال، يملك اثني عشر فدانا من أجود الأرض يعتمد في زرعها على الناس؛ لأنه كان أيا لثلاث بنات، تزوجت كبراهن ووسطاهن وبقيت الصغرى تطرد الوحشة عن البيت، وتشبع البهجة في الغبط. ولم يكن حمدان يعمل بيده، وإنما كان يكتري العمال ويقف وراءهم، يرشدهم إلى ما يريد، ويكرههم على ما يحب. أما فكيفه فقد كان عملها أن تذهب إلى أبيها بالنداء أو الماء أو الشاي، وأن ترجع إلى أمها بالخضر أو الفاكهة أو الملف. وكانت في ذهابها أو إيابها محط الأنظار ومطمع القلوب، وفتاة كفكيفة تحوم عليها نفوس الشباب للزوة أبيها، فكيف إذا كانت مع ذلك وسيمة الوجه، خفيفة الفل، رقيقة البشرة؛ كان الخطاب يتهاقون عليها تهافت الذباب على العسل؛

الحر، واستعان على ترجمة عواطفه الشبوبة
بأنغام الناي. وتمكنت الألفة بينه وبين
شباب القرية فكانوا يخالسونه الوء ،
ويقاسونهم الأوس ، ويتمنون لو يتزوج من
فكيلة لتستقر به النوى عندهم ، ويطيب
له العيش فيهم .

وتوثقت بينه وبين فكيلة عرى
الحب ، فكان لا يسمى إلا معهما ، ولا يتحدث
إلا عنهما ، ولا يفكر إلا فيهما ، حتى أجمع الناس
على أنه الخاطب المختار والحبيب المفضل .
وبارك الشيخ حمدان وزوجه وأهله هذه
الخطبة ، وافتخرت فكيلة على أترابها بهذا
الخاطب ، واعتبشت القرية جمعاً بهذا المواطن ؛
فلم يبق في القوم من ينظر إلى هذا القران
نظرة الحقد إلا علوان .

كان علوان الشقي بطمع في أن تصبح
فكيلة زوجته ، ويتوقع أن تصير فداديتها
ملكه ، ويؤمن بإيمان الغرور بأنه كان
أقرب الخطاب إلى الظاهر بفكيلة قبل
أن يجي هذا المنافس الغريب فيقلب أمله
يأساً ونجاسة يؤسا وفوره خيبة . كان يرى
أنه الفتي الأول في القرية ، لأنه كان مرهوب
العداوة لشدة بطشه ، مرغوب الصداقة
لكثرة لونه . ولكن هذا البهلول المرهوب
المرغوب جاء فغض من قدره ، وطأطأ من
تعاليه : ثم أصبح بمد خطبته لفكيلة العتمة

وكان المهدي لا يزال مشتول البال
بأسه الخائب ويومه القلق وغده المبهم ،
فلم يقطن إلى ما ينعم به في هذه العائلة
الرفيعة من رعاية الأب وعناية الأم وودادة
البيت . ولكنه لم يكد يقطع عزمه على
انتجاع هذا الإقليم سعياً وراء الفتي حتى
تليه فجأة إلى أن يجانبه أجمل فتاة تنشده
الزوج ، وأن تحت يديه أخصب أرض
تطلب الفلاح ، وأن أمام عيبيه أكرم
زوجين يخطوان إلى الموت خطى سريعة
قال في نفسه وهو يردد فنجان الشاي فارغا
إلى فكيلة: أليست هذه هي الفرصة التي طالما
ارتقبها بعين لا تغفل ، وافتكرتها بصبر
لا ينفد ؟ زوجة جميلة تكون اختار زوجتي ،
ودار وسيمة تكون مأوى لأمي وإخوتي ،
وأرض خصيبة تكون عما قريب نواة للملكي
وثروني !

ولم لا يكون الحظ السعيد هو الذي
أتى إلى خير وادى الريان في المنصورة
لأنقل من يؤس محض إلى نعيم خالص ؟
وتفتح قلب المهدي للحب ، واستند شعوره
بالجمال ، فرأى في فكيلة منية نفسه وقرّة عينه
وبهجة فؤاده ؛ ووجد في الغيوم مالم يجد
في إقليم آخر من نرج الطبيعة في مروج
الفيح ، وأوديته الخضراء ، وحدائق العن ،
فتحرك فيه عزيمة الفنان فتغنى بالواويل

ونفكم المويل، وكشف عن وجهه النطاء .
فلما رآه المهدي ورآنا ، هم بالبهوض فردنه
المرضة . وانصرف الآخرون وجلسنا في
مقاعد عم على جانبي سريره . وكان حضورنا قد
قوى من روحه وزاد في تجلده ، فحياءواده ،
وسأل أخاه عن أمه وابنته . ثم سأله العمدة
عما جرى له من يوم قارقنا إلى يوم لقيناه .
فقص علينا ما سمعتموه الليلة على قترات كان
يقطع بينها شدة الوجد أو غيبوبة الحمى
وفي المساء عاود الجريح نزف الرئة
فانقطع أمل الجراح من نجاته . وشاء الله أن
تنجح عملية الموت وأن تحقق عملية الحياة ،
فعدا بحثة الشهيد إلى الأرض التي خلق
منها وعاش فيها ، فاستقبلته القرية كلها
بالتحيب والمويل ، وحزنت عليه حزنا
لم نجد المراء عنه حقبة طويلة

ثم أمسك الحاج عن الكلام بعد أن عبر
بشفته وكفيه عن معنى سبقه إليه القائل :
وارحمتا للمغرب بالبلد النازح
ماذا بنفسه منعنا

قارق أحبابه فما انتقموا
بالمعيش من بعده ولا انتقموا
حميين الزيات

التي تصده عن غايته ، والمهوية التي
تحتجزه عن سعادته . لذلك صمم على أن نزول
من طريقه كل حائل يحول من دون مرامه .
وطوى صدره على أمر

— ٨ —

قال الحاج إبراهيم وقد تفرغرت عينه
وتهدج صوته :

واقطعت عنا أخبار المهدي ستة أشهر
فلم نعرف له مكانا ولم تتلق منه رسالة .
وفي عصر يوم من أيام الخريف ،
والخريف فصل الممود والزوابع ، عاد خفير
الأحوال من المركز ومعه إشارة من الأمور
إلى العمدة يقول فيها : « أخطرنا بوليس
القيوم أن رجلا يدعى المهدي البهلول من
بلدكم قد أطلق عليه الرصاص ، وقد ثقل إلى
المستشفى الأميري بين الحياة والموت »

وماهى إلا دقائق معدودات حتى شاع النبأ
في القرية فاستولى عليها حال من الجزع لا
يتصورها إلا من رآها . ولم نضع الوقت في
عتاب القدر ، فسافرنا إلى القيوم ، ودخلنا على
البائس الصربع فوجدناه لا يتقار على الفراش
من مض الألم ومن حوله جماعة من الرجال
والنساء يبكون

فدنا منه العمدة ونحن وقوف نغالب الدمع

المظلة

للفضيلة الفرسية محمد بن محمد بن محمد

بقلم الأستاذ علي أدهم

وكان ردها الدائم عليه قولها « خير لنا أن نأخذ بالأحوط ، فنحن لا نعرف ما تأتي به الأيام »

وكانت امرأة ضمرة أنيقة ذات غصون في الأربعين من عمرها غريبة الأطوار ، وكان زوجها ما ينفك غاضبا من المتاعب التي تفرضها عليه وبخاصة من بعض الحوادث التي جرت فيها كبريائه

وكان يشغل وظيفة رئيس الكتبة في وزارة الحربية ، وقد احتفظ بهذه الوظيفة ترولا على رغبات زوجته ، وكان ذلك يزيد في الفائض من دخلهما ، وقد ظل يذهب إلى ديوان الوزارة في السنتين الأخيرتين حاملا مظلة قديمة مرقعة كانت مثار سخيرية زملائه من الكتبة وهدف تندرهم ، ولم يستطع في النهاية الثبات لمزاجهم ، وأصر على أن تشتري له مدام أوريل مظلة جديدة فوظفت عمالية فرنكات ونصف فرنك في شراء

كانت مدام أوريل مطبوعة على الاقتصاد عارفة بالقيمة الحقيقية للسنتيم ، وقد حفلت جميعتها بالحكم الصارمة التي تحض على مضاعفة النقود ، وكانت خادماتها لا تجد من السهل حين أن تزيد في دخلها كما كان السيو أوريل يلقى معسوبة شديدة في انتزاع مصروفه الخاص من زوجته ، وبالرغم من أن الزوج والزوجة كانا ميسورين وليس لهما أولاد فقد كان يشق على مدام أوريل ويحز في نفسها أن تفارق فضتها اللامعة ، وكأما كانت كل قطعة من النقود تعتصر من صميم قلبها ، وكانت كلما استلزمت الظروف بعض التوسع في الإنفاق باتت مسهدة الجفن مسبوقة الرقاد

وكان السيو أوريل كثيرا ما يقول لها « إنك في الواقع تستطيعين أن تبسطي كفك بعض البسط فنحن لا نعيش العيشة المناسبة لدخلنا »

مظلة أخرى لك »

وتناولت المظلة من يده وفكت زرارها ونشرت ثيابها وحينذاك استولى عليها الفزع فوقفت وأخذت تمحق في المظلة ، فقد كان في منتصف المظلة خرق مستدير صغير الحجم يبدو أنه من أثر حرق طرف سيجارة

وقالت له وقد كادت أنفاسها تنقطع « أنظر إلى هذا الحرق ! »

فسألها زوجها قائلاً في هدوء ، « ما الخير ؟ وماذا تقولين ؟ »

وكان العيظ يخفقها فقالت متعثرة « أنت ... أنت ... لقد حرقته وأوجدت ثقباً في ... في مظلتك ... أنت .. لا بد أنك مجنون ... تريد خراب بيتنا ؟ » فشمع زوجها بالدم يغلي ويغور في خديه واستدار وقال متعجباً « ماذا تقولين ؟ » « أقول لك إنك قد أحدثت ثقباً في

مظلتك الجديدة ، أنظر إليها » واندفعت نحوه كأنها هت بصفقه وألقت الثقب الصغير المستدير تحت أنفه ، فنظر إليه خائفاً وجلاً وعم قائلاً « كيف حدث هذا ؟ إني لا أعلم عنه شيئاً ، وإني أقسم أنه ليس من منى ، ولا أستطيع أن أفهم جلية الأمر »

فأجابته زوجته قائلة « إني أعرف ا

مظلة كان قد عرضها للبيع أحد المحال الكبيرة من قبيل الإعلان ، وقد تناثرت في باريس ألوف من هذه المظلات وسرعان ما عرف ذلك الكتبة حينما رأوا المظلة الجديدة فزادوا حجبكم علواً وعانى أوريل الآلام والنقص ، وظهر أن شراء المظلة كان صفقة خاسرة فقد عاث فيها البلي بعد ثلاثة أشهر ، وكان ذلك موضع دهشة موظفي الوزارة جميعاً ، وقد نظمت فيها الأغاني التي كانت تسمع في شتى أرواء الديوان من الصباح إلى المساء

وفي نوبة من نوبات الغضب أمر أوريل زوجته أن تنفق عشرين فرنكاً في شراء مظلة جديدة مصنوعة من أحسن أنواع الحرير وأن تستحضر الإيصال الذي يثبت ذلك ، فساومت على مظلة بثمانية عشر فرنكاً وناولتها زوجها وقد لاح في أساريرها الهم والسكند

وصاحت به دالة « لا بد أن تبقى معك هذه المظلة على الأقل مدة خمس سنوات »

ونجح صاحب المظلة الفرح الجذلان بجأها بأمر في ديوان الوزارة ، ولما عاد إلى المنزل في المساء رمت زوجته المظلة بنظرة قلقة وقالت له « من الخير أن تحافظ على مظلتك فإنك لن تراني مسرعة إلى شراء

والفرع ، وتلاقت نظراتهما ، فنض طرفه ،
وساحت به زوجته قائلة — وقد أعادت
إليها نوبة الغضب القادرة على الكلام —
« أيها النعس ! أيها الشتمى النكوب ! لقد
تعمدت أن تفعل هذا ، ولكنى سأعاقبك ،
ولن تكون لك بعد اليوم مظلة »

وسلت معه فصلا جديدا . وبعد ساعة
من هدوء العاصفة سمحت له بالإصغاء فأقسم
لها أنه لا يعرف كيف وقع هذا ، ولا بد
أنه من أثر النيرة أو حب الانتقام . ودق
جرس الباب فأخذ الموقف ، وكان القادم
صديقاً قد دعى لتناول العشاء ، وعرضت
مدام أوريل الأمر عليه ، وذكرت له أن
شراء مظلة أخرى أمر خارج عن الموضوع ،
وأن زوجها لن يكون له بعد اليوم مظلة

ولكن الضيف وجه إليها اعتراضاً
حكيماً مثلاً « في هذه الحالة يسرع البلى إلى
تبايه ويكون ذلك أخطر وأدعى للخسارة »
فأجابت الزوجة الصغيرة الجرم وهي
لا تزال غاضبة حائرة « حسن ، يستطيع أن
يحمل مظلة الخادم ، ولن أحضر له مظلة
من الحرير »

فأثار ذلك نائرة أوريل فقال
« في هذه الحالة أنذرك بأننى سأقدم
استقالتي ، وليس هناك ما يدفعنى إلى
الذهاب للديوان حاملاً مظلة خادم »

وإلى أرامن على أنك كنت تعبت بها في
الديوان وتفتحها وتعرضها للأبطال » فقال لها:
— « الواقع أننى فتحتها مرة واحدة وكان
ذلك لأرهبهم بها ، وأؤكد لك أن هذا
هو كل ما فى الأمر »

فضربت الأرض برجليها غاضبة ،
وعاملته تلك الماملة التى تجمل الرجل السالم
برى موقعه الترى أمنع من مساحة قتال
بتساقط فيها الرصاص

وأصلحت الثقب بأن وضعت فيه قطعة من
الحرير من مظلة قديمة كان لوها يختلف عن
لون المظلة الجديدة

وفى صباح اليوم التالى خرج أوريل
قاسداً الديوان حاملاً كتفه الرفيع وهو فى
صورة من أدبته المتقوية ، ووضع المظلة فى
سوانه وأخفاها

ولما عاد إلى منزله فى المساء انتزعت
زوجته المظلة من يده . وما كان أشد رعبها
من النظر المحرن الذى رآته عينها ! فقد كان
غطاؤها ممتلئاً بالثقب الصغيرة ، وكان من
أوضح أن هذه الثقب من أثر الحرق ،
وكأنما أفرغ فوق الغطاء الحريرى رماد
ملتهب من غليون ، وكانت المظلة قد فسدت
فساداً لا يرجى إصلاحه ، فنظرت زوجته
إليه وقد عقد الغضب لسانها ، وأخذ زوجها
يفحص المظلة وقد أراغ بصره الخوف

المنزل عن التفكير في الفرنكات الثمانية عشرة التي فتحتها ، وكانت المظلة ملقاة على الخوان في حجرة الطعام وظلت تحوم حولها دون أن تقطع برأى في الموضوع ، وقد تملكها فكرة شركة التأمين ، ولكنها كانت تخشى نظرات كتبة الشركة الساحرة وكانت ممن يستول عليهم الحجل في المجتمعات . وكان من عاداتها أن أنفه شيء يجعل وجنتيها نحران ، ولم تكن تروح إلى محادثة الأجانب ، ولكن حزنها من أجل الفرنكات الثمانية عشر كان يحز في قلبها كحر الوشي ، وعبثا حاولت أن تبعد عن فكرها ، وكانت ذكرى هذه الخسارة ما تنفك بالذعر فسادا تفعل ؟ وتناوبت الساعات وهي لا تزال في تردد ، فجاءت عقدت العزم على العمل مثل الحبان الذي استجهم شجاعته ودلت :

« سأذهب إلى الشركة وأرى ما يحدث »
وكان لا بد من تساؤل المظلة قبل كل شيء حتى تبدو الكارثة غير قابلة للإصلاح وتنتع الشركة ، فأحضرت من رف الوقد عود ثقاب وحرقت ثوبا واسعا كحجم كفها بين جانبي من جوانب المظلة ولفت بقايا الحرير وشدت حولها رباطا مرنا وتلفعت بالشال ووضعت القبعة على رأسها وهروا إلى شارع دي ريفولي ، وكانت إدارة شركة

فقال الضيف « ولم لا تصلح المظلة ؟ إنها لا تسكف كثيرا »
فأجابت مدام أوريل في عنف واحدة « إن ذلك يقتضي دفع ثمانية فرنكات على الأقل ، فإذا أضفنا ذلك إلى الفرنكات الثمانية عشرة كان المجموع ستة وعشرين فرنكا من أجل مظلة ، وهذا شيء لا يحتمل ، إنه جنون »

وكان صديقها رجلا فقيرا ، فألهم فكرة جملته بقول « يمكن الحصول على المبلغ من شركة التأمين ، فالشركة تدفع تعويضا لكل ما يمحرق على شريطة أن يكون الحريق قد أصاب ما تملكه »

وكان هذا الإيحاء مثل السحر ، فبعد تفكير لم يستغرق أكثر من دقيقة خاطبت مدام أوريل زوجها قائلة « غدا في طريقك إلى الدبوان تأخذ معك المظلة إلى شركة التأمين وتريهم هناك ما أصاب المظلة وتطلب التعويض »

فوثب السيد أوريل وقال « لن أجتري على مثل هذا العمل ، والسألة لم تتجاوز ثمانية عشر فرنكا وهو مبلغ لا يحتملنا خسارة مظلة »

ولحسن حظها كان الطقس معتدلا في اليوم التالي فذهب إلى الدبوان حاملا عصاه ولم تنقطع مدام أوريل وهي منفردة في

بالباب والعشرين فتركها، ولكنها استمدت
الشجاعة من تفكيرها في البلع كله،
وصمدت السلام وهي تلث وتقف عند كل
درجة ودقت الباب في الطابق الأول،
فأمرها بالدخول صوت رنان، فدخلت إلى
حجرة واسعة كان بها ثلاثة رجال مجتمعين
ومستغرقين في مناقشة خطيرة

وانتفت أحدهم إليها وقال « ما الذي
أستطيع عمله من أجلك يا سيدتي ؟ »
فوجدت صعوبة في استحضار الكلمات
وتلثمت قائلة « لقد جئت . . . بسبب
حادثة »

فأدب الرجل في أدب إلى كرسي وقال
« تفضل بالجلوس يا سيدتي ، سأكون
طوع أمرك بعد دقيقة أو دقيقتين »
واستؤنفت المناقشة التي اعترضها
دخول السيدة

وقال المدير « في الحالة الخاصة بكم أيها
السادة لا تعد الشركة نفسها مسؤولة عن
دفع مبلغ يتجاوز أربعمائة ألف فرنك، ولا
نستطيع أن نقرر طلبكم دفع مبلغ مائة ألف
فرنك علاوة على ذلك، وفضلا عن ذلك
فإن هناك التقدير . . . »

فقال أحد الرجلين الآخرين « هذا
يكفي، والقضاء سيفصل في الموضوع وليس
هناك حاجة إلى إطالة المناقشة »

التأمين بهذا الشارع، وكلما اقتربت مدام
أوريل من إدارة الشركة كانت خطواتها
تتقاصر فماذا تقول في الشركة؟ وما الرد
الذي تلقاه؟ وأخذت تنظر الأوراق الموضوعة
على الأبواب، وكان لا يزال بينها وبين
إدارة الشركة ثمانية وعشرون منزلا، وقد
أناح لها ذلك فرصة للتفكير فتهملت في
السيرة حتى فجأها باب كتب عليه بحروف
كبيرة « شركة التأمين ضد الحريق » فاختلط
عليها الأمر، واعتاقها الخجل، وترددت
لحظة، وتقدمت إلى الأمام ثم عادت
أدراجها

ولكنها قالت لنفسها « لا بد مما ليس
منه بد، وكلما كان الأمر أسرع كان
ذلك أحسن »

ولما اجتازت الدخول ودخلت الإدارة
شعرت بأن قلبها ينبض تبضا عاليا وتقدمت
من رجل كان يمر من الحجرة الرحبة حاملا
بعض الأوراق

وقالت له في صوت خفيض مضطرب:
« ممدرة يا سيدى! هل تستطيع أن تدلني لمن
أقدم طلب التعويض عن الحريق؟ »

فأجابها بصوت رنان « الدور الأول
إلى اليسار، فهناك القسم الخاص بالحوادث »
وزادها جوابه اضطرابا حتى ودت أن
تنطق دون أن تنطق بكلمة واحدة وتضحى

الشركة تمويزات لثل هذه الحمار الطفيفة ؟
وقلت للمدير وهي تتمتع في الحديث
« انظر ، لقد حرقت »

فأجاب المدير دون أن يحاول أن
ينقض كلامها « هذا واضح »

وهنا خذلتها الألفاظ ، فقدمت وهي
لا تكف عن التحديق فيه حتى أدركت
نجاتها أنها لم تذكر له اسمها

فبادرت إلى إخباره أنها مدام أوريل
وقالت « لقد أخذنا منكم صك تأمين وأريد
أن أحاطب بتمويض »

ولما كانت تتوقع الرقض البسات
استدركت قائلة « إنني لا أريد سوى عمل غطاء
جديد للمظلة »

فعارض المدير قائلاً وقد حار في أمره
« إننا يا سيدتي لا شأن لنا بالظلات ، ولنا
قوم بإصلاحات من هذا القبيل »

فشعرت المرأة القميصة بأن حب
الكفاح الكامن في نفسها ينبعث ويتجدد
وكان لابد من وقوع معركة ، ولقد كانت
متأهبة لخوض غمار هذه المعركة ، فقد أفرخ
روحها وسرى عنها

« إنني لا أطلب إلا بدفع تكاليف
الإصلاح ، وإنني أستطيع أن أضع لها بنفسى
الغطاء الجديد »

فبدت على المدير الحيرة والدهشة

وبعد تبادل التحيات انصرف الرجلان ،
ولو كانت وانتهى الشجاعة لتيمةهما
وضحت مسرورة بكل شيء ، ولكن
الفرصة أفلتت منها ، فقد أتبعه إليها
المدير وقال لها بعد الانحناء « إنى فى
خدمتك يا سيدتى »

فبدلت جهداً لتنفس وقالت فى صعوبة
« لقد جئت ... جئت من أجل هذا »

فقطر المدير فى دهشة إلى الشيء الذى
عرضته لظفره ، وأخذت أصابعها المرتعشة
تمسحس الرباط الرن ، ونجحت بعد
محاولات فى فك عقده وأخرجت بقايا
المظلة المرفقة

وقال المدير فى عطف وإشفاق « يبدو
أنها فى حالة سيئة »

فقالت وهي تحاول جس النبض « لقد
كافتنى عشرين فرتكا »

فبدت على المدير علامات الدهشة
والاستغراب

« حقيقة ؟ هذا البالغ كله ؟ »
« نعم ، لقد كانت مظلة ممتازة ، وأريد
أن ترى بنفسك حالتها »

فقال المدير « لاشك فى ذلك ، ولكنى
لم أستطع أن أبين بعد ما علاقة ذلك
بعملى ؟ »

فوجف قلبها وساءت نفسها هل تدفع

وأدرك المدير أنه لن يتخلص من
إلحاحها دون أن يضيق اليوم كله فقال
مستسلماً « تفعلنى واذكرى لى أيضا كيف
وقعت الحادثة ؟ »

فبدأت تروى القصة وقد وثقت من
النصر

« لقد وقعت الحادثة على النمط الآتى
باسيدى ، فى قاعة المنزل حامل برزى
للمظلات ، وقد عدت أمس ووضعت المظلة
على الركيزة ، وفوق هذه الركيزة رف صغير
للشمع والبقاب ، ومددت يدى وأخذت
أربعة عيدان ثقاب ، ولم يشتمل العود
الأول ، ولمح العود الثانى وانطفأ وكذلك
العود الثالث »

فقال المدير مازحاً « أظنها من عيدان
البقاب التى تصنعها الحكومة ؟ »
فأجابت دون أن تلتق بالها لفكاهته
« يمكن أن يكون ذلك. والأمر الهم أن عود
البقاب الرابع أشعل الشمعة ، وأوتت إلى
حجرتى ونمت فى فراشى وبعد انقضاء تلك
ساعة ظننت أننى أسمع رائحة حريق ، وأنا
دائماً أخشى النار ، فبأنا وقع فى منزلنا حريق
لا يكون الخطأ منى ، ومنذ احتراق
المدخنة الذى حدثتلك عنه وأنا أعيش فى
خوف شديد ، ولذلك قمت من الفراش
وغادرت الغرفة وبحث فى كل مكان، وكنت

« إنها فى الواقع بإسيدتى مسألة هينة ،
ونحن لا نطلب منا تعويض عن مثل هذه
الحوادث النافية ، وأظنك تسلمين بأننا لا
ينتظر منا أن تقدم تعويضات عن الناديل
والقفازات والكانس والخفاف القديمة وما
إلى ذلك من الأشياء الصغيرة الممرضة
للحريق فى أى وقت »

فشمرت بتدفق الدم فى وجنتيها
لاستعداد غضبها وقالت :

« فى ديسمبر الماضى حرقى بإسيدى
مدختنا وكلفنا إصلاحها خمسمائة فرنك ولم
يطلب السيور أوريل من الشركة ملياً واحداً
فن العدل أن تدفع الشركة نفقات إصلاح
المظلة »

فابتسم المدير عند سماعه القصة المخترعة
وقال : « أظنك بإسيدتى لا تنكرين أنه مما
يشير العجب أن السيور أوريل بمد أن
أمسك عن المطالبة بدفع نفقات إصلاح
المدخنة التى بلغت خمسمائة فرنك بطلب
تعويض قدره خمسة فرنكات أوسنة لأجل
مظلتة »

فتمالت له فى غير مبالاة « أستطيعك
المعذرة ، إن الخمسمائة فرنك كانت تخص
أوريل ، أما الهامية عشر فرنكاً فإنها
من جيب مدام أوريل وهو أمر يختلف كل
الاختلاف »

الغطاء من الحرير الجيد الثين وأحضرت لكم
قائمة بالنفقات ، أيمكن هذا ؟
فقال : « حسن جدا ، لقد سويت المسألة
وهناك مذكرة للصراف الذي سيدفع لك
مصاريف الإصلاح »

وأعطاه بطاقة فقيضت عليها بيدها ،
وقامت من مقعدها ، وتتمت كلمات الشكر
واسرعت بالخروج من الحجرة خشية أن
ينير المدير رأيه

وبعد هذا الانتصار أخذت تنهادر
في الشارع فرحة مبتهجة باحثة عن حانوت
ناعم ، ولما عثرت على الحانوت الذي يبدو
أنه يطلب مصروفات باعظة لإصلاح المظلة
دخلت في جراءة وشموخ وقالت بصوت الأمر :
« أريد أن تصنعوا غطاء لهذه المظلة
من أحسن أنواع الحرير ، واستعملوا أرق
صنف عندكم فإني لا أبالي بالتكاليف »
على أراهم

أثم مثل كلب السيد ، وأخيراً كشفت
أن مظلتها كانت مشتملة ، ولا شك في أن
أحد عبدان الثقاب قد سقط بين ثناياها ،
وأنت ترى حال المظلة ..

فأحنى المدير رأسه لما ليس منه بد وقال
« وما مقدار المبلغ الذي تطالبين به
ياسيدتي ؟ »

فلم تجترى على ذكر المبلغ الذي تريده
وظلت صامتة

وأخيراً قالت وهي تحاول الظهور
بمظهر الكريمة الساعمة « إني أترك ذلك
لك ، وتستطيع أن تصالحها لي »
فقال : « إننا لاستطيع أن نفعل ذلك ياسيدتي .
تفضلتي فإذا كرى المبلغ الذي تريدينه »
قالت « ولم ذلك ... إني أظن ... لا
ياسيدي ، إسمع لي ، إني لا أريد الكسب
على حسابكم ، إنها أعدل الطرق ، سأحمل
المظلة إلى أحد الحوانيت ، وهناك أطلب عمل



كل شيء على ما برأه

للاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

الخواوية مصباح بلا زجاجة ، مخنوق الأنفاس
كأنه يختصر ، يحتم بينه وبين الحائط وعاء
من النحاس مهيب الظاهر ، وكوز من
الصفير . ويرعى قلبهما على الحائط القديم
كالخبيثا يرتجف بالرجاف الذبالة . وحصير
مفروش اقترشه صبيان كنت أحدهما ،
ومن فوقنا غطاء غليظ من صوف الغنم
تخرق في عدة مواضع ، وكانت رجل أخى
النائم خارجة من أحد هذه الخروق . وحالة
للثياب عليها بعض خلتان . وأشياء أخرى
لست أذكرها الآن . وشئ أخير لم أنسه
لأنه أعم من كل ما رأيته . . ذلك هو شبح
أبى !

كانت مترمة في جلستها كالتي فرغت
من الصلاة ، رافعة وجهها إلى السماء
وكفها مبسوطة . كانت تدعو وتبتهل
وكان دعاؤها متهدجا غامضا معذمة همس ،
لكنه يبعث في القلب رغبة وخاوف .
ولعل أقوى سبب لما أحسسته من دعايتها
أبى لثقت فرأيت مكان أبى من الحجرة

رأيت الذين تحتذيهم الأخطاء إليها
وهم راغمون يخرسون كل الحرص على أن
يجنبوها سواهم من الأجيال ما استطاعوا
إلى ذلك سبيلا .

وكانت هذه هي قصتي مع أبوى . .
قصتي التي جعلت أستميد أحداثها حلقة
حلقة حتى قطعها على انفجار أعقبته طلقات
مدافع رجفت بها الأرض وقعفت السماء ،
ثم تاهبت الإسكندرية بعدها لتقامي ليلة
من ليالى الهول ، في تلكم الحرب الأخيرة

أما نقطة البدء في القصة فإنها ترجع
إلى خمسة عشر عاما . ليلة أرقني شئ لست
أذكر كنهه . كنت إذ ذاك غلاما في
العاشرة لأبوين ريفيين يجرى بهما مركب
الفقر في خضم الوجود ، فلا تكاد شبكتها
تخرج بما يحفظ علينا الحياة . ووقعت عيناى
اللتان ألتقيهما النوم على منظر جاشت له
نفسى في تلك الليلة :

كان هناك على قبة الفرن في الحجرة

خالياً ، وعرفت أن الليل قد تقدم نحو
الصباح من تصايح الديكة على سطحننا
وسطوح الجدران

وكان دعاؤها يتقطع بين الحين والحين
حتى إذا ما استأنفته بدا أنه مخنوق بالدموع ،
وكان منديل رأسها ، متأخراً إلى الوراء ، فهو
على وشك السقوط لولا أن الضفائر ممسكة
به ، فبدت حاصرة الرأس كأنها جرزعة أو
كأنها موشكة على الصراح

وفي دعاؤها عبارة ترداد كثيراً كانت
تطلب بها من الله السر . ثم كفت برهة
وخرجت إلى باحة الدار كأنها تفتش عن شيء ،
فأناحت لي فتحة الباب أن أسمع هواء
الخریف الأرعن وهو يماثل أعواد الحطب
على أعالي الجدران

ثم عادت أمي واستأنفت ما كانت فيه
وعدت أنا إلى التأمل والاستغراق والتفكير
في الموقف ومرافية الظلال الداكنة على
الجدار القديم وهي تراقص بتراقص التباله
وأناظر إلى رجل أخى الخارجة من الغطاء
المحروق ، ها كتم صمكة تراودني وأينها
غير منسجمة مع كآبة ما تقع عليه عيناى
وسمعت طرقة على الباب الخارجى
أيقنت معها أن الموقف في طريقه إلى الوضوح
وأن الغمة قاربت أن تنكشف . وخرجت
أمي تتعثر في أذيالها لتفتح ، وانفجر باب

القاعة مرة أخرى ، فتناهى إلى سسمى أزيز
الحطب . ثم دخل الشيخان من باب القاعة
ثم أغلق الباب . . ثم ارتجت الأرض من
رمى شئ ثقيل كأنه حمل ، ثم سمعت أنفاس
الرجل مضطربة مبهورة . . ولم أستطع بعد
ذلك أن أنبين ما حولي بتفاصيله ، لأن
المصباح انطفأ عند دخول أبوى وانفتاح
الباب فتحة كاملة سمحت لتسليم الليل أن
يتدفق نحو الداخل

وجعلت أمي تفتش عن علبه الثقاب
فلم تهتد إلى مكانها فسمعها تهمس لأبى
قائلة : لا داعى للمناء ، ما عدنا بحاجة إلى
النور . . هل سننظم عقدا ؟ .. لا .. ولا نحن
سنفرز ذهباً من فضة . ولم يرد عليها أبى
بكلمة لأن أنفاسه لم تعد سيرتها الأولى .

وسعل مرتين أو ثلاثاً ثم اطمان . وخيم
علينا سكون كأنه قطعة من الأبدية ، وصاح
ديك في الخارج ومد صيحته في تأنيق
وإصرار كأنها يؤكد للناس أنه رأى وجه
النهار ، فسمعت عندئذ أبى يتهد ويقول :
الحدثه . . وصلنا في الوقت المناسب .
قالت أمي : وهل وجمك ظهرك ؟ فأجاب :
قليلاً بالنسبة إلى ثقل الغرارة . . لم أكن
آمل أن أعود بهذه السرعة لأن الرومانزم
قما على في الشهر الأخير ! قلت أمي لم
أفتر لحظة واحدة منذ خروجك عن أن

سجن لأنه سرق وكنا نغير ابنه به إذا
ما شرس علينا أو تكبر أو اعتدى .. ثم ..
لغنى النوم كما يلف كل الأحياء

وفي صبحي اليوم التالي رأيت أمي تقشر
الذرة بوجه باسر وأعصاب هائجة . كانت
كأنها تجهز ميتا لا تجهز طعاما . وكنت
أدنو منها وأنظر في عينيها فلا أرى فيها
إلا ثمة وثورة وثوقا لكروه

على أن ذلك كله لم يمنعنا عن الطحن
والخبز وأكل الحرام لأن البطون لا تعترف
بمعجز الأيدي كما قلت لك . ولم أستيقظ في
الليل مرة أخرى ولكنني رأيت في النهار
ذرة تقشر فأيقنت أن أبي عاود السطو لأنه
لا يزال عاجزا عن حمل القأس ولم يستدعه
أحد . فمن أين تأتينا النقود؟! وأخي صغير
وأنا لا أساعد أبي لأنني في المدرسة ويعتني
أبي أن أحفظ القرآن

وناشجرت مع مبارك بن شعبان ليلة
من الليالي فضربني لأنه أقوى مني ثم فر إلى
دارهم حتى لا يدركه النار ، فدخلت على
أبوي ساخبا با كيا فلما سألني ما خطبي
قلت لهم إن ابن (الحرامي) ضربني وجري
فأحسست أن أبي يسترضيني بالذباية عنه
كأنما يريد أن ينهي الموضوع . لكن
ثورتي كانت لا تزال حادة مشبوبة قتلت

أطلب من الله السر ، وأحد الله فلتد
استجاب . قل أبي وهو يغالب ضحكة :
هذا هو نفس ما فعلته في الختل وأنا أخلع
(كيزان) الذرة من الأعواد لأضعها في
النراة ، كنت أطلب منه السر أولا
والهفو ثانيا ، غير أني كنت أخشى شيئا
واحدا وأنا أطلب السر ، وذلك هو أن
يكون صاحب الختل قد طلب من الله
نفس الطلب ، وأن يكون الله قد استجاب
فتبع الكارثة وأضبط متلبسا بجريمة السرقة
وأخذت الأمور تتضح أمام بصيرتي
وأنا مستلق على ظهري تحت النطاء القديم
فرجعت إلى المسألة من أولها :

إن أبي عاجز منذ شهرين عن أن يحمل
القأس لذلك فإن أحدا من الناس لا يستدعيه
ليعمل في حقله بالأحر . الروماتزم الزمن
سبطر على ظهره ... في موضع الحرام تماما
فأقدمه عن الكسب . ولما كانت البطون
لا تعترف بمعجز الأيدي عن تحصيل القوت
فلا تكف عن الطلب فإن الرجل لجأ آخر
الأمر إلى أن يسطو على حقل غيره في ظلمة
الليل ، ولم يستطع الروماتزم أن يقدمه عن
حل غمارة ثقيلة والسير بها مسافة طويلة
قلت بيني وبين نفسي : كان أبي يسرق!

أجل . كان يسرق مع أن السرقة (عيب)
بدليل أن (شعبان) والد زميلي (مبارك)

في القرية آمنت عسيرة لأننا أحسننا أنا
فقدنا شيئا نتمتع بالحياة بدونه ، وذلك هو
الشرف

وأقدمت أمي على عمل حاسم فإنها
رحلت بنا إلى الإسكندرية حيث بعض
أقاربها هناك ونجح مسعاها فاشتغلت خادما
في أحد المستشفيات ، وودعنا القرية في
غياب أبي حتى إذا ما قضى مدة الحبس لحق
بنا . وألفيناه متعبا مكثودا وبقي كذلك
فترة من الزمن ثم زاول في المدينة عملا
لا يحتاج إلى تعلم . . . عملا قريبا من حفو
الأرض أو حمل القناس وإن كان وظيفته
« مدير » . . . يدير معصرة قصب في أحد
الدكاكين وبلبس « مريلة » على الجلباب
ويرفعه عن الأرض قبقاب عال ويستعمل
المكنسة بين آن وآن وينقل الأعواد قبل
العصر وبعده إلى الداخل والخارج

وجعل أبواي بعد هذه الحادثة يلتقنا
في كل مناسبة أن الجوع خير من السرقة
وأن السرقة أعلى من الذهب . وتعرضت
حياتنا بعد ذلك لأزمات عولجت طورا
بالصبر ، وطورا بالافتراض وطورا بالفراق
من الأزمة بتأجيل حلمها حتى تعرضت أنا
لنفس التجربة فأخذت أستميد كل
ماقصته عليك . . .

حتى قطع على أفكاري انفجار أعقبته

صارخا : أليس أبوه لما ؟ ... ألم يسرق
خروف على النوايا ؟ له يوم !

ولطمعتي أمي على خدي فحملت
مستغريا ... لكنني أفقت !! وسرعان
ما ذكرت أن دارنا من زجاج وإن غاب ذلك
عني . ثم ذكرت ليلة الأرق وما حدث فيها
فأمسكت أنفاسي وكلمت غيظا بخالطه
خزي حتى سمعت أبي يقول وهو واضع كفه
على ظهره : لا تعير أحدا يا بني فربما عبرت
معدورا !

لكن الحوادث شامت أن تلقى على
درسا جديدا فلقد التقيت أنا ومبارك بن
شعبان في ملعب الصبيان بعد أسبوع واحد
فما وقعت على عيناه حتى ابتدرني قائلا :
« أهلا بابن أبو غرارة » وضحك الصبيان
وفررت أنا أجرى إلى الدار

أما معنى ذلك فإن أبي ضبط متلبسا
بالسرقة وكان منظره في تلك الليلة بشير
الضحك والدموع فقد أرى صاحب الحقل
إلا أن يسوقه إلى المحفر وهو يحمل السروق
فراى الناس رجلا متألما خزيان باكيا يمسك
الفرارة بيد ويمسك موضع الألم من ظهره
باليد الأخرى ، ويتاق اللطحات والركلات
والشتمات صامتا صابرا !

ثم لقي النهاية الطبيعية التي يلتأها كل
خارج على القوانين الموضوعية . لكن إقامتنا

واستولت على الفكرة فمجبت لنفسي إذ
رأيت فيها شابا يحرس المال من غيره ثم
لا يدفع عنه عدوان يده ، ففجئت

وغابت عني كل الصور إلا صورة
واحدة -- صورة رجل يمسك غرارة بيد
ويمسك ووضع الألم من ظهره باليد الأخرى
وهو مسوق إلى مخفر الشرطة . ثم صورة
أمرأة هاجرت من القرية لأنها فقدت شيئا
تعدت عليها الحياة بدونه . انتهدت .
وكانت الفرقعة قد كفت منذ مدة وأطلقت
صفارة الأمان فأضيت الأنوار

ودخلت إلى المحل وجعلت ألتفت في
كل صوب لأطمئن على ما فيه ، ومضت برهة
رأيت بعدها صاحب المال واقفا على العتبة
وهو يسأل مخلصا آمنا : هل كل شيء على
مايرام يا سديقي ؟ فأجبت باعتزاز الشرفاء :
أجل ... أجل ... كل شيء على مايرام !

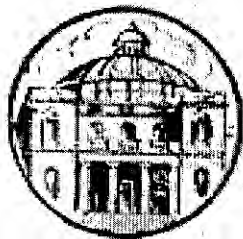
محمد عبد الحليم عبد الله

طلقات مدافع ، ثم تاهت الإسكندرية
بعدها لتفاسي ليلة من ليالي الهول ...

وكان أبي طريح الفراش والأسرة في
حاجة إلى أشياء كثيرة ، وكنت وحدي
في المحل التجاري الذي أعمل فيه بعد أن
تركني صاحبه أول الليل لثقتي بي ، والحاجة
عرضت له . وكل شيء أمامي ... حتى
المال !!

واستبد بي الأمر وضيق الحاجة على
الخلق ، وبدأت أقنع أن البطون لا تعترف
بعجز الأيدي وأنه لا بد من الإقدام .
وهمت وأنا أطلب من الله السر ! لكن
المدافع أطلقت وأصبح من الحتم أن أطفئ
الأنوار ، فساد الظلام !

ولشد ما تغيرت بعد ذلك فكري عن
الموضوع . أزلت نصف الباب ووقفت في
بقية الفتحة أرى الأمانة وقد خيل إلى أن
لعوصا عديدين سيهاجمون المحل وأن من
حق صاحبه على أن أدفع عنه أيدي الراغبين



حياة

للفصحى الفرنسي جى دي موباسان

بقام الأستاذ ليلى السعيد

إن « جان » لا تعرف إلى الآن ماذا تأخذ من الأمتعة وماذا تدع ، فببيتها الجديد بالغ السفر ، ولهذا فأمر النقل يستغرق تفكيرها ... يحمل إليها مشغلة كارية في حياتها الحزينة الخالية من الأمل

تجولت « جان » من حجرة إلى حجرة تشد قطع الأثاث التي تستثير النسي من الأحداث . هذه القطع هي شطر من حياتنا بل هي بعض كياننا . لقد عرفناها منذ روق الشبية ؛ وقد ارتبطت في أيام من تاريخنا بذكرياتنا البهيجة أو الحزينة . هي من خلصاتنا الصامتين في الساعات العذاب وفي الساعات الخالكة الإهاب . هذه القطع التي تدلها « جان » قدمت واعتراها البلى : تحرق نسيجها ، وتغرق بطايتها ، وتهلك مشابكها ، واعت الوانها .
كانت « جان » تتخير القطع التي تريد اصطحابها واحدة واحدة ، وكان التردد

« جان » ابنة نبيل نورمندی ترى تزوجت عن حب من « الكونت دي لامار » ؛ غير أن حبها المفرط الرهافة لم يلبث أن أشمرها عثرة النصيب وضلة الأمل في زوج أناني قذو ؛ ومن ثم فهي تسوق حنوها كله إلى ولدها « بول »

وكأنما خلقت « جان » المسكينة للشقاء فهذا الابن العزيز « بوليه » كما تدعوه ، وقد بلغ مبلغ الرجال ، لا يألوها عذابا ألما ، فهو لا يكتب إليها من باريس حيث يعيش مع عشيقته إلا ليطلب مبالغ كبيرة من المال وإذا أشفت « جان » على الإفلاس فقد باعت كرها « لو بوبل » قصرها النيف القريب من البحر ، حيث أمنت كل أيامها الذواعب . وها هي ذى بسبيلها إلى سكنى الريف في بيت أكثر تواضعا ، وها هو ذا القروي ابن خادمتها « روزالي » قادم لينقل أمتعة البيت

وشهدت «جان» أشتانا من دمي الزينة الصغيرة التي جمعها بها قديما أصرة العرفة ، ومع ذلك فإنها لما اختفت فجأة لم تفكر «جان» في اختفائها ولا فيما كانت تؤديه . هذه الأسقاط التي طوى النسيان مساحبه على ذكرها خمسة عشر عاما ، والتي كانت «جان» تراها كل يوم ولا تلاحظ أنها تراها ، تظهر اليوم بغتة في الحزن إلى جوار ... لما فتوقط في قلب «جان» ذكريات الأماكن التي تلقت هذه الأشياء المرة الأولى ...

وشاة ، أخذت هذه الأشياء أهمية شهود ، مسيين أو أخلاء عادوا عندما ظن ألا تلاقى ، وأضحى لهذه الأشياء الأثر الذي يكون لأحاسيس الطفول المرء زمانا طويلا ، ثم ضربت الليالي بينه وبينهم ، ثم على حين غفلة وعلى غير توقع عادوا يتحدثون مستترسلين في الحديث كاشفين عما يملأ جوارحهم من ود غير متهم

مفت «جان» تنقل النظر من شيء إلى شيء وفي القلب أوجاع ، وكانت تناجي نفسها : «مه ! إنه أما التي كسرت هذا الفنجان الصيني ذات مساء قبل زواجي بأيام قليلة » ، «آه .. هذا مصباح أمي الصغير ، وهذي هي المعالي التي كسرها أبي الشاب عندما أراد فتح باب الحديقة

بسيطر عليها ، وكانت مضطربة اضطراب القبل على اتخاذ قرار حاسم ، فهي تراجع رأيها في كل لحظة ، مفاصلة مثلا بين مزاي كرسين أو مكتب ذهب رواقه وبين مزاي نصيد للشغل غبرت عليه سنون . وكانت تفتح الأدراج تلمس ما يذكرها وقائع مضت لسبيلها ، ثم تنثنى إلى نفسها قائلة : «نعم ، سأخذ هذا » ، وعندئذ ينقل هذا الشيء إلى حجرة المائدة

إنها جد راعية في ألا تدع شيئا من أثاث مخدعها : سريرها .. الأبطية التي تكسو الجدران .. الساعة .. وكل شيء . ومن حجرة الاستقبال جمعت «جان» بعض القواعد التي أحبت رسومها منذ صباها الباكر ، هي رسوم تمثل قصص الثعلب والافلاق ، والثعلب والغراب ، والصرصور والتملة ، ومالك الحزين ...

وذات صباح ، بينما «جان» تطوف بأركان هذا السكن الذي لن تلبث أيامها فيه أن تؤذن بوداع صعدت إلى الحزن ، وهناك امتلكها الروع ؛ هذي أكدا من الأشياء من كل جنس ، بعضها محطوم وبعضها محتفظ بمجده لولا شجرة تكسوه ، وبعضها لا يدري أحد قيم جي به إلى هذه الحجرة . لعله لم يعد ير أحد أو لعله استبدل به ...

الذى شقق المطر أخشابها»

وثمة أشياء كثيرة لم تكن «جان» عرفت ولا حفظت لها ذكرى ، أشياء تعاود منها عن أجدادها الأذنين أو الأبعدين ، وأشياء ، علاها التراب نبذت هناك في زمن غير زمانها ، وكأنها شحبة لما تلقى من هجران ، أشياء لا يدري أحد تاريخها ولا المقامرات التى صاحبها ، ولم ير أحد هؤلاء الذين اختاروها واستوروها وملسكوها وأحبوها ، ولم يعرف أحد الأيدي التى استعملتها فى البنة والعيون التى طالما ارتادتها واستقطبتها

لمت «جان» الكراسى ، ثم أعادتها ، فتركت سيقان الكراسى أثناء تحريكها خطوطاً . إن «جان» تحت ضوء النهار الباهت التيمث من مربعات الزجاج المركبة فى السقف تبحث عما إذا كانت هذه الأشياء تنشر ذكريات مطوية

وأقبلت «جان» على أشياء عتيقة تفحصها رجاء أن تجد لديها ذكريات ، فحست حوضاً نحاسياً ومدفئة متروعة القاع تعتقد أن لها بها معرفة سالفة ، وكومة من المواعين التى لم تعد تستعمل . وفى آخر الأمر ، كانت «جان» قد جمعت قندراً من الأشياء التى ترغب فى استعنائها ، فلما نزلت من المخذون أمرت «روزالى»

بإحضارها ، وأبت الخادم ساخطة إحضار هذه «الأمساخ» ، ولكن «جان» التى لم تكن لها غالباً أية إرادة أصرت هذه المرة على رأيها ، وأوجبت الطاعة على خادمتها وفى أحد الأسباح ، حضر الفلاح الصغير بعمره لتقل الدفعة الأولى من الأنثى ، ومحبته «روزالى» تهيمن على النمل وتضع كل شئ موضعه . أما «جان» التى بقيت وحيدة ، فقد جعلت تنقل الحصى فى أرجاء النصر ، وقد تسلطت عليها نوبة قظيمة من اليأس . وفى حرارة الحب الشبوب بين جوانحها كانت تقبل كل ما تعجز عن استجابه : قبلت الطيور البيضاء فى السجاجيد الزينة لجدران حجرة الاستقبال ... قبلت المصاييح القديمة ... قبلت كل ما صادفها ... وكانت فى سيرها من حجرة إلى حجرة كالنمل خولط فى عتله ، وكانت عيناها غارقين فى الدمع

وأخيراً ، توجهت لتقاء البحر لتقول له : «أستودعك الله»

كان ذلك فى أديار سبتمبر ، والسماء الغائمة تحكى تنملاً مطبقاً على الدنيا ، والأمواج المتوالة الضاربة إلى الصفرة تمتد على مدى البصر ، و«جان» قائمة على الشاطئ الصخري تدبر فى رأسها أفكاراً ممحمة وجن الليل على «جان» فأبت إلى

وبعد ساعة ، ظهرت العربية عند السور
ولم يكن مناص من تفرينها تحت المطر
ولما سجا الليل ، كانت الدار مضطربة
النظام تماما ، فقطع الأثاث التي تملؤها
ملفأة كيفما اتفق . أما « جان » التي أصابها
الإعياء ، فلم تأو إلى مضجعها حتى غشيها
النماس

وفي الأيام التالية ، كانت « جان »
مشغلة بالشواغل والمشاعل ، فلم يكن لديها
وقت تمن فيه إلى ولدها المحب ، هذا إلى
أن تجد إليها بيتها الجديد كان يشمرها بعض
السعادة ويظلمن من سجاها ، وكان الأمل
في أوبة ابنها الغائب يراوحها ويغاديرها في غير
انقطاع . ولقد بسطت « جان » السجاد في
حجرة الطعام التي اتخذت منها حجرة استقبال
أبضا . أما الغرفتان الأخريان في الشقة
الأولى فقد نسقت إحداها بعناية . وسيطرت
على « جان » في ذات صدرها فكرة أن
تسمى هذه الشقة « شقة بوليه » ، وقد
احتفظت لنفسها بالغرفة الثانية ، وخصصت
« روزالي » بغرفة أخرى في جوار
الحزن

كانت الدار الجديدة شائقة بعد إذ
نظمت بعناية ، وقد وجدت فيها « جان »
الراحة في الأيام الأولى ولو أنها كانت تحس
شيئا بنقصها ، شيئا مبهما لم تعرفه ولم تقيده

فصرها وقد برحت بها الآلام أكثر مما
صلت بها أي أحزان وجيبة
وحان يوم الرحيل ...

وفصلت العربية ، ثم وقفت بعد ساعتين
على جانب الطريق الفسيحة تجاه بيت صغير
مبنى بالآجر ويتوسط بستانا زرعت فيه
الكثيرى بنير نظام ، وأقيمت في أركانه
تعاريش من الشجيرات والزروع المتسلقة ،
رأسا أحواض مربعة مزروعة
بالخضر ، تشعبها مسالك ضيقة تحفها أشجار
الفاكهة ، ويظف بالدار وما حولها سياج
عال بينه وبين المزرعة المجاورة حقل . وهناك
على بعد مئة متر دكان حداد ، وعلى بعد
لا يقل عن كيل تقوم الساكن . فأما
المظهر المجاور فنظر سهل زاحف في أرض
« جو » تناثرت عليه الضياع وقد لفتها
أربعة صفوف مزدوجة من أشجار التفاح
وإذ بلغت « جان » البيت أرادت
لتسريح ، ولكن « روزالي » أبت عليها
ذلك مخافة أن تسرسل في أحلامها

وكان في « جودرقيل » نجار ، وها قد
أقبل لتنظيم الأثاث ، وشرع يعمل غير
منتظر ورود العربية الأخيرة التي يجب
الا تناخر

كان الأمر مهما ويقتضى التروية

والتدبير

كتاب يقول فيه شاكرا : « لقد أسديت
إلى فضلا كبيرا يا أمي العزيزة ، فقد كنا
في بؤس شيس »

ومع هذا ، فإن « جان » لم نطمئن إلى
« باتفيل » ولم تألفها قط . وبأطلالها
أنها لن تستروح النسيم كما كانت تفعل ،
وأنها بالنسياس إلى ذي قبل نعانى وحدة
أحر وتبقى من هجران أمر

واعتادت « جان » أن تخرج كل يوم
للتروض حتى تبلغ ضيعة « فرنيه » ثم
تعود ، ولكنها لا تعود إلا لنهض
ثانية وقد نالكتها رغبة مستجدة في الخروج
كأنما نسبت الذهاب إلى حيث تحب أن
تذهب

كان هذا الشعور يعاودها متصحبة
ومسمة ، وكانت لا تدرك سبب ما يحس من
نقص عجيب ، ولكنها في إحدى الأيام
وهي تبهم بالحبوس إلى مائدة المشاء ندت
عنها عفوًا ، بارة كشفت سر الاضطراب
الذي يعتلج في دحيلتها ، قالت : « كم تهفو
نفسى إلى رؤية البحر ! »

إذن هو البحر . . . هو الشئ الذي
يعوزها ، إذن هو هذا الجار القديم منذ
خمس وعشرين سنة ؛ هو البحر بهوانه
الملح ، بنضائه ، بأصواته الزمجرة ، بنسماته
القوية ؛ هو البحر الذي كانت ترنو إليه

و ذات ضحى ، جاء كاتب المحامى
« فيكام » يحمل إليها ثلاثة آلاف وستمائة
فرنك ثمن الأثاث الذى خلفته في قصر
« لو بوبل » والذى قدر قيمته أحد
المتخصصين . وما إن تسلمت المبلغ حتى
تنفست تنفس الفرحة ، وما إن تركها
الرجل حتى أسرع فوضعت قبعتها منطلقة
إلى « جودرفيل » لتبعث إلى ولدها بهذا
المبلغ غير المرتقب . بيد أنها وهى تحت
الخطى في الطريق الكبير تقابل « روزالى »
قادمة من السوق . ومع أن الخادم لم تستيقظ
الأمر فقد خامرها الشك . ولما أفضت إليها
بالحقيقة ، وكانت « جان » لا تحجب عنها
سرا ، وضعت سلبها على الأرض ليمكنها
التعبير عن غضبها في يسر وكما تشاء ،
وصاحت الخادم وقبضتا بدها في خصرها ،
ثم أخذت بذراع « جان » حاملة السلة
يسمراها ، وانكفأت بسيدتها إلى الدار
والغضب لما يسكت عنها ، حتى إذا دخلتا
الدار وأصررت الخادم على أخذ المبلغ أعطته
« جان » إياها محتفظة بستمائة فرنك .
وأدركت « روزالى » التى راودها الشك
أن للمبلغ بقية ، واضطرت « جان » إلى
تسليم المبلغ عن آخره . على أن « روزالى »
أشارت بإرسال ستمائة الفرنك إلى
« بوليه » الذى ورد منه على أمه بعد أيام

من تلك السرعة ، شاعرة أنها مأخوذة إلى حياة جديدة ، بل محمولة إلى عالم جديد لم تبه في شبابها الخادى ولا في عيشها الرتب . وعندما بلغ القطار باريس كان المساء قد أقبل ، وسار أحد الحائرين بحقيبة « جان » ، وسارت هي في أثره وجملة القلب متمثرة الخطى قليلة الحيلة ، يبعثها اختراق الجماهير المانحة ، وكانت من حلف الحمال تغذ السير كأننا تهرول مخافة أن يعزب عن ناظرها حتى إذا بلغت إدارة الفندق ، بادرت تقدم نفسها قائلة : « قدمت إليكم توصية من السيد روسيل » ؛ ولكن مديرة الفندق ، وهي سيدة ضخمة جافية ، سألت وهي جالسة إلى مكتبها : « ومن هو السيد روسيل ؟ » ومضت (جان) تقول وهي مستعربة : « إنه موثق الموثوق بجود درفيل ، وهو ممتود المزول عندكم . » فأجابت السيدة الضخمة : « ريتما ؟ ولكني أجهله . أريدن غرفة ؟ »

— نعم ياسيدتي

وأخذ النادل أمتعتها ، وصعد السلم قدامها

كانت (جان) تحس انقباضاً موعلاً في قلبها . وحين جلست إلى نضد صغير دعت إليها بحساء وجناح دجاجة ، فإنها منذ الفجر لم تسكن طعمت شيئاً . وأكلت في ضوء شمعة . أكلت وهي تبحر الشجن في قلبها ،

مبهورة من دارها القديمة (لربوبل) . . هو البحر الذي كانت تستنشى عبيره في الليل إذا يغشى ، وفي النهار إذا تجلى ، والذي كانت تحبه قريباً منها ، والذي أرزله منزلة الحبيب كأنه إنسان ملؤه الحياة مافي ذلك ريب

ومضت حياة « جان » وثبات . مضت حزينة وعلى وتيرة واحدة . والسيدة في سكنها الجديد تنظر أوبة « بوليه » قررة عينها ، ولكنها لا ترى من « بوليه » إلا طلبات النفود

وألقى إليها يوماً كتاب منه يسألها فيه . أن تأذن له بالزواج من عشيقته . وهناك قررت (جان) والهم بثقلها أن تستقل القطار شاخصة إلى باريس

وانطلقت السفارة الثانية إيداناً بتحريك التطار ، فانساب العربات في رفق أول الأمر ، ثم في سرعة أشد فيما بعد ، ثم في سرعة مزعجة أخيراً . وكان في القصور التي تقبوا فيها « جان » ممتدها رجلان اشتمل عليهما النوم ، وقد أسندوا رأسيهما إلى ركبتين في السكبان

وكانت جان ترسل نظرها في الغيطان والشجر والندساكر والقرى وهي مذعورة

وتتقاعى إليها أصوات غير مبينة كأنها
تفسل من جدران الفندق زحفا ، وفي بعض
الحالات يتأدى إليها صوت أرضية تصر أو
باب يقفن أو جرس يدق

ولم يكد النعاس يدب في مفاصل
(جان) حوالى الساعة الثانية من الصباح
حتى رنت بنتة في حجرة مجاورة صرخة
من إحدى السيدات ، فاستوت (جان)
جالسة في سريرها ، ولقد خالت بعدها أنها
تسمع ضحكات رجل . وكما اقترب النهار
جمل التفكير في (بول) يأخذ عليها
أقطار فكريا ، حتى إذا تنفس الصبح
إردت ملايسها

كانت (بول) يقطن في شارع
(سوافاج) بالمدينة ، وأرادت (جان)
أن يكون معها إلى هناك سيرا على القدم ،
أخذاً بتوجيهات (روزالى) الاقتصادية ،
وكان الجو سخوا ، ولكن الهواء البارد كان
يقصر الجسد ، وكان الناس على الأفاريز
مهمطين ، وكانت (جان) تجدد السير
ماوسمها ذلك في شارع ، وكان عليها في
نهاية الطريق أن تنحرف عن يمين ثم
تنحرف ثانية عن شمال ، حتى إذا بلغت
ميدانا كان عليها أن تعاود السؤال عن
الطريق الذى تهبجه ، ولكنها لم تهتد إلى
البدان ، فاسترشدت خبازا أدلى إليها بمعلومات

وكانت تهبج بها ذكريات كثيرة . إنها
تذكر مرورها بالمدينة نفسها وهي عائدة من
رحلة زواجها . . . نعم ، وقد بدت لها
بومشد في باريس بالذات الشواهد الأولى
لطباع (جوليان) زوجها ؛ ولكنها آتشد
كانت تلبس برد الصبا ؛ ولكنها آتشد
كانت عامرة بالثغة وافرة بالحياة . فأما اليوم
فهي تحس أنقاض عمرها تتداعى ، وهي
تحس في نفسها اضطرابا وفزعا ، وتحس في
قواها وهنا ، وتحس قلقل لا تعرف مآناه

ونفضت يدها من العشاء ، وجلست إلى
النافذة ، وأطلت على الطريق المكنت
بالخلائق ، وكان يشوقها أن تخرج ولكنها
لم تكن لتجرؤ على هذا ، فقد كانت تعتقد
أنها سوف تفضل طريقها لا محالة . ولذلك
أطفأت النور ، وأسلمت جنبها إلى
الضجيج ؛ بيد أنها لم تنم . نقي عنها الكرى
ضجيج الشارع ، والإحساس بالجمهول في
المدينة الكبيرة ، والانبوب الذى نالها من
الرحلة . ومرت الساعات ، وشمعت
الأصوات رويدا رويدا ؛ ولكن « جان »
لا تجد إلى النوم سبيلا ، فيشير ذلك من
أعصابها . لقد ألفت في الريف الهدوء
الشامل والنوم العميق اللذين يخلو إليهما
هناك الإنسان والحيوان والنبات ، ولكنها
الآن تحس من حولها حركة غامضة ،

جهيد استردت حواسها ، وقالت بصوت خفيض : ومنذ متى رحل ؟
وأعطاهما الرجل معلوماته في سخاء وقال : « استمعي يا سيدتي ، لقد رحلا ذات مساء من نحو خمسة عشر يوما ، رحلا ولم يؤدبا . ولقد كانا متدائنين للحى كله ، فكان طبيعيا كالا يغيب عنك ألا يتركنا عنوانها »

كانت « جان » ترى أنوارا ... ترى لبا دافئا ، تحسبه عينها طلقات منبعثة من بندقية ، ولكن فكرة عنيدة ملأت منها الجوانح ففتحها القدرة على الوقوف ، وأذنت عليها سكينة ظاهرة ، وأمنت روعها شيئا ما ، ذلك أنها كانت تريد أن تعرف أين « بوليه » وكيف تبحث عن « بوليه »

— أهكذا لم يقل أبدا أين ذهب ؟
— ألبتة ، ولقد هربا حتى لا يؤدبا ديونهما
— ولكن لا مندوحة له عن إرسال من يتسلم بريده

— لم تعد ترد إليه رسائل ، ولو وردت إليه لأعطيتها إياه ، على أنه لم يكن يتلق في العام بطوله أكثر من عشر رسائل . وقد سمعها قبل رحيلها يومين رسالة إنه رسالتها بلا شك ؟ وقلت للبواب

تخالف ما لديها . . واستأنفت السير وفق توجيهه فعميت عليها الطرق ، ونجوت وفق إرشادات جديدة فأنتهى بها هذا إلى أن ضلت سبيلها تماما

ومضت كالتي ألم بها طائف من جنون تمشى على غير هدى . ولا طالعها نهر السين كادت تدعو حوزبا ، ولكنها ألزمت وصيف النهر . وبعد نحو ساعة أدركت شارع سوفاج ، وهو أشبه بحارة مظلمة ، ووقفت حيال أحد الأبواب ، وقد نال منها التأثير مبلغا لم يسمعها معه إلا أن تقف لاتريم هنا ، في هذا المنزل كان « بوليه » . . ومثت في جسدها رعدة هزت ركبتها ويديها . . . وأخيرا دخلت ، وسلكت عمرا ، ورأت غرفة البواب ، فسألته وهي تمد إليه يدها بقطعة نقود :
أيمكن أن تسمد إلى « السيد بول »
لتبلغه أن سيدة عجوزا هي سديقة والدته تنتظره هنا ؟ فأجاب البواب : إنه لم يعد يسكن هنا ياسيدتي

وأخذتها رجفة عنيفة ، فقالت متممة « آه ! وأين يسكن الآن ؟ أين ؟ »
— لست أدري

وشعرت « جان » بدوار ، كما لو كانت تستقط إلى الأرض ، ومكثت بعض الوقت عاجزة عن النطق ، وأخيرا وبعد جهد

تجسر على غشيان هذه الأماكن ، احتجزها
ضرب من الشجول والإشفاق ، ولون من
ألوان الاستحياء من الآلام التي تحس
« جان » آثارها بادية على صفحتها . ووقفت
هنيئة أمام باب المطعم تنظر إلى داخله ،
وكانت ترى الناس جالسين يأكلون ، ففرت
خائفة وهي تقول : « سأدخل المطعم التالي »
ولكنها لم تدخله أيضا

واشتت آخر الأمر من أحد الحيازين
قطعة خير قورا ، كالقمر ، وأخذت تقضمها
وهي سائرة . ولقد كان العطش يذلها ،
ولكنها لم تكن تعرف من أين تشرب ،
ولذلك مضت عطشى

واجتازت قبوة ، فوجدت نفسها في
حديقة أخرى تطيف بها مجموعة متتابعة من
العقود ، أدركت « جان » أنها القصر الملكي ،
وإذ كانت مرهقة من وهج الشمس وطول
السير فقد لبثت جالسة ساعة أو ساعتين .
ودخل الناس أرسالا ، وهم أناس يتسمون
بأناقة الظاهر ، يقبل بعضهم على بعض
يتحدثون ويتبادلون التحايا ، فشهدت
« جان » جمعا سميذا نساؤه جميلات ورجالها
أثرياء ، جمعا لا يعيش إلا لللحلى والباهج .
وتشفق « جان » من أن تكون بين هذا
الحشد البراق ، فتنهض لتفر ، ولكن
فكرة مفاجئة تساورها ، هي أن ولدها الأخير

فجأة : « أصغ إلى ... إنني أمه ، وقد جئت
أبحث عنه . هاك عشرة فرنكات لك ،
وإن أتاك جديد عن « بوليه » أو جاءك
عنه أى نبأ فانقله إلى في فندق نورماندى
بشارع الحافر ، وسوف أجزل لك العطاء »
وأجابها : اعتمدى على ياسيدتى .
وانطلقت ...

انطلقت « جان » لا تولى على شئ ،
ولا يعينها أن تعرف أين وجهتها ، وكانت
تسرع السير كأنها وفوضة إلى أمر مهم ،
وكانت تسير والجدران ، وكانت تصطدم
بالمارة وما يحملون من لغائف . وفي عبورها
للطريق لم تكن تلقى بالا إلى العربات ،
فكان الخريجون يوسعونها شتما . وكانت
تعثر في الأفاريز التي لم تكن تدبر لها حسابا ،
كانت تهيم وروحها أمامها هيامة ..

ووجدت نفسها فجأة في حديقة عامة ،
ولقيت من تجوالها نصبا ، فانكأت على
أريكة ، وظلت غير قليل متكئة وهي
مستخرطة في البكاء ، غافلة عن نفسها لاهية
عن المارة الذين كان يستوقفهم منظرها . ثم
أحست وطأة البرد فنهضت لتعود إلىزلها
وحملتها ساقاها حملا ، فقد كان التعب
والضف يؤودانها

أرادت « جان » أن تموج على أحد
المطاعم لتتال بعض الحساء ولكنها لم

« بول » لا يبعد أن تلقاه هنا ، لذلك أخذت
تجوب السكان وهي تتصفح الوجوه ذهابا
وجيئة في غير توقف ، ونحز خطاها
الكسيرة السريعة من أول الخديقة إلى
آخرها

وكان بعض الناس يلتفتون وراءهم
لينظروا إليها ، وكان آخرون يضحكون
وهم يشيرون إليها ، ولاحظت هي ذلك
فولت الأدبار معتقدة أنهم يتفككون
يمظهرها ويردائها ذى الربعات الخضراء
الذى اختارته لها « روزالى » والذى خاطته
خباطة « جودرفيل » وفق تعليمات
« روزالى » أيضا

ولم تكن تحسر على أن تستهدى المارة
الطريق ، فسارت تعتسفا اعتسافا وانتهت بأن
وجدت فندقها . وأنفقت باقى يومها جالسة
على مقعد بجوار سريرها ، ساكنة لا تبدي
حراكا ، ثم تناولت عشاءها كما تناولته
بالأمس : بعض الحساء وقليل من اللحم ،
ثم ثابت إلى النوم . كانت تفعل ذلك كله
آليا وبالعادة

واغتدت فتوجهت إلى مخفر البوليس
وجاوة أن يبحث لها المسؤولون عن ولدها ،
ولكنهم لم ينوعوا بشئ سوى أنهم سوف
يهتمون بالأمس . ومن ثم ، جعلت تطوف
بالشوارع ، والأمل فى أن تلقاه راودها دائما ،

وكانت تشمر أنها وسط هذا الزحام المائج
أقصى وحشة وأشد ضيعة وأهول بؤسا مما
لو كانت فى خلاء مقفر

وعندما ضرب الليل سرادقه ، وجان
فى الفسدى ، نبث أن رجلا من لندن
« السيد بول » سأل عنها ، وأنه سيعود
إليها الغدا ، فتغزرت موجة من الدم إلى
قلبها ، ولم يطبق لها جفن طول الليل
— لو كان إياه ! لا بد أنه هو

هذا مع أنها لم تعرف إلى صفات
ولدها ، ذكر لها عن السائل

وحوالى الساعة التاسعة صباحا دق بابها
فصاحت : « أدخل » ، وتراجعت لتحسن
التقدم ، وفتحت ذراعها ، ولكن المتقدم
إليها كان شخصا لا تعرفه . وبينما كان
يعتذر إليها عن إزعاجها ويشرح لها مقصده
من الزيارة وهو مطالبتها بتبلغ فى ذمة
« بول » ، استبقت بالدمع عينها ،
ولكنها كتمت بكاءها عن حديثها ،
فقد كانت تمسح دموعها بطرف إصبعها كلما
تجمعت فى زوايا مقلتيها

لقد علم الدائن من بواب شارع سوقاج
عجى ' أزم ، فلما لم يستطع لقاء الشاب
قصد إليها ، ومد إليها يده بقرطاس تناولته
وهى لا تفكر فى شئ ، وقرأت فى
القرطاس رقما : (٩٠ فرنكا) فأخرجت

وعادت « جان » ذات صباح إلى
بانتفيل ، وكان الثلج يقط والبرد
بقوس

وبقلب مرقه الأسي كانت (جان)
تقضي أيامها . وكانت تتقدم إلى الشيخوخة ،
وكانت تنظر ، وعينا ما كان انتظارها .
وأبناؤها أصبا ذات يوم أن عشيته قد دنا
منها خفوق من بين ظهرانيه ، بعد أن
وضعت وليدة ، وأنه يمانى الإفلاس

تهارت « جان » إلى مقعدها ، وهي
لانسكاد تقوى على دعاء « روزالي » . وما إن
حضرت الخادم حتى أخذت المرآنان كلتاها
تقرآن الرسالة ، ثم بقيتا طويلا الواحدة في
مواجهة الأخرى والصمت يلفهما . وأخيرا
قالت « روزالي » : سأذهب بنفسى
لإحضار الطفلة ياسيدتى ، فما ينبغى أن ندعها
هكذا . وأجابت « جان » : « إذهبي
يا بنتى »

وأنغرقتا في الصمت ، ثم قالت الخادم :
« منى فيمت ياسيدتى ، وهيا بنا إلى موثق
المقود في « جودرفيل » فلو كان هذا
آخر عهد العشيق بالدنيا لكان لزاما
على « السيد بول » أن يعتقد عليها من أجل
مستقبل الطفلة »

النقود وأدت الدين . ولم تبرح فندقها طول
اليوم

وفي الغداة ، تقدم دائنون آخرون ،
فأعطتهم جان كل ما كان متيقيا لديها من
نقود ولم يبق لنفسها غير عشرين فرنكا ،
وكتبت إلى « روزالي » تستبئها الحال
وقضت الأيام في جوب الطرقات ،
ترقب رد خادماتها ، غير عارفة ماذا تصنع ،
ولا كيف تقتل الساعات الفاجعة التي
لا تنهس ، وغير عارفة أحدا تفضى إليه
بكلمة شافية ، أو أحدا يعرف شقوتها ...
كانت تسير إلى غير غاية ، وكانت في كبد ،
وكانت تنازعها نفسها إلى الرحيل والانقلاب
إلى هناك . . . إلى بيتها الصغير على جانب
الطريق المنعزل . إنها قبل أيام قليلة لم تكن
تقوى على العيش فيه إذ كان الحزن يملأها ،
أما الآن فهي على التيقض تحس أنها
لا تقوى على العيش إلا فيه ، حيث تمارس
عاداتها الحزينة التي أخذت منها مأخذا عميقا
ونلت ذات مساء كتابا منطويا على
مائتي فرنك ، وفيه تقول لها « روزالي » :
« سيدتى جان ، إرجعي بأسرع ما تستطيعين ،
فليس بعد هذه المرة من نقود . فأمرأى في
شأن « السيد بول » فسوف أذهب بنفسى
للبحث عنه عندما نرد علينا أخبار ،
ولك التحية من خادمك (روزالي) »

« جان » تطلعت إلى ساعة المحطة ... لم يبق إلا عشر دقائق ، بقيت خمس دقائق ... دقيقتان ... ها قد حان الوقت ولما بظهر في الطريق الطويل شيء ، ثم فجأة ، لاحظت نقطة بيضاء ، ثم لاحظت دخانا ، ثم من أسفل نقطة سوداء بدأت تكبر وتكبر راضية بكل سرعة . وأخيرا خفضت القاطرة من سرعتها ، ومرت وهي تلهث أمام « جان » التي كانت ترقب الأبواب في لهفة . وفتحت أبواب كثيرة ، وهبط منها الناس : فلاحون في قضايتهم ، وفلاحات يحملن السلال ، وفليل من أهل الطبقة الوسطى بقمعاتهم الناعمة . وأخيرا لحث « جان » روزالي وهي تحمل على ذراعها شيئا من طرود الأعطية

وودت التندم نحوها ، ولكنها خست أن تخرج إلى الأرض فإن ساقها كانتا واهنتين . ورأتها خادماتها فأقبلت عليها بروحها الحمادة المبهودة وهي تقول : أسعد الله يومك يا سيدتي ! ها قد عدت أدراجي ولكن بعد مشقة

وسألت « جان » في التعلم : ما الأخبار ؟ قالت « روزالي » : « خيرا ، لقد ماتت الليلة ، وقد تزوجا ، وها هي الطفلة » . وقدمت الطفلة التي لا ترى بين طيات ثيابها . وتناولت « جان » الطفلة آليا ،

ووضعت « جان » قبعتها من غير أن تنبس ببنت شفة . وضعت قبعتها وقد قاومت على قلبها فرحة عميقة لا يجوز الجهر بها ، هي فرحة خبيثة ودت « جان » جاهدة إخفاءها تماما بأية وسيلة ، هي من الفرحت الرذولة التي تحجل صاحبها ، ولو أنه في حقيقة الأمر يلتذها التذاذا في أطواء نفسه : إن عشيقه « بول » مشفية على الهلاك !

وزود موثق العقود الخادم بمسالم مفصلة ، وقد رددت « روزالي » هذه التعاليم أمام الموثق مرات عدة ، حتى إذا استوثقت من أنها لن تقع في أي خطأ قالت : « لا تخشى شيئا ، فالآن آخذ الأمر على عاتقي » . ثم مضت إلى باريس في الليلة نفسها وفوضت « جان » يومين مضطربة الفكر حتى لتعجز عن التفكير في شيء ، وفي الصباح الثالث من سفر « روزالي » تلقت منها كلمة واحدة تخبرها فيها بأمر واحد هو أنها عائدة بقطار المساء

وفي نحو الساعة الثالثة استلمت « جان » إلى المحطة عربة أحد جيرانها لتتظار خادمها . وظلت واقفة على الرصيف ، وعينها معلقة بالخط المستقيم الذي رسمته القضبان ، وقد كانت هذه القضبان المتقاربة تلوح وكأنها نفر هاربة إلى الأفق . وبين لحظة وأخرى كانت

في جسدها . إنها حرارة الكائن الصغير
الهاجع على ركبتيها

هناك غمرها شعور مائه نهائية ،
وكشفت شدة عن وجه الطفلة الذي لم تكن
شبهه بعد ، وجه حفيدتها ؛ وكان للضوء
القوى أثره على الخلاقة الضعيفة ففتحت
عينها الزرقاوين بحركة فيها ، وأخذت
« جان » تبللها بحرارة شديدة ، رافعة إياها
بين ذراعيها ، غامرة إياها بالقبيل

ولكن « روزالى » وقفت سيدة
غير حافلة برضاها وسعادتها ، قائلة :
« حسبك ، حسبك يا سيدى جان ، حسبك
فستجملينها بمكى » ثم أضافت وهي بحجب
على فكرة راودتها هي نفسها : « هذى
هي الحياة ، إنها ليست خيرا ولا شرا
مما نظن »

ليب السعير

وخرجت مع خادماتها ، واستئذنتا الركبة
واسترسلت « روزالى » تقول :
« سيأتى السيد بول بعد الدفن غدا في نفس
الوقت على ما اعتقد » وتتمت جان : « بول » !
ولم ترد شيئا »

كانت الشمس قد مالت نحو الأفق ،
مفيضة النور على السهول السندسية التي
يتخللها هنا وهناك زهور الكولزا بلونها
الذهبي وزهور عرف الديك بلونها الدموي ،
وكان الهدوء الشامل ينشر فسطاطه على
الأرض الساكنة التي تنبت الزروع ، وكانت
العربة تعدو ماوسعها العدو ، وكان سائقها
القروى لا يتفك بحث الجواد على الإسراع
وكانت « جان » تنظر قدامها إلى
الهواء ، وكانت تنظف إلى السماء التي ترفرف
تحت قبتها الزرقاء ، بعض الأطيبار . ونجاسة
أحست الدف يدب فيها ، وأحست حرارة
الحياة تحترق ثيابها وتدرك ساقها ، وتنفذ



لعن

للاستاذ يوسف جوهري

« الصلحة العامة » حتى ترى حاجات
الشعب النور وتأخذ طريقها إلى الظهور

وفيما مضى لم يكن أخنى من الحكومة
على التناولين ولا أشد براهم . إن التناول ليبدأ
عمله ، ثم يتوعلك ، ثم يضطرب نبضه ،
ويحل موعد التسليم . . . وتمضي شهور ،
وربما تمر أعوام ، والتناول ينتقل من اضطراب
التمس إلى غيبوبة لطيفة لا يكثر فيها
بشيء ، ولا تمكر عليه صفوف الحكومة
صاحبة الطريق ، لأن الحكومة سيدة بارة
طيبة تملأ قلبها الخنان

ولكن العمل هذه المرة بدأ بنشاط
ملحوظ ، ولم يضطرب نبضه ، ولم تأخذه
إغفاءة ولا إغماء ، فإن طريق حلوان طريق
ملكي ، وليس أشد من الملوك غيره على
الصالح العام . . . ومن أجل الصالح العام بدأ
الإصلاح من نهاية الطريق المحيطة بركن
فاروق ، نبعنا بالقام الملكي ، وقربى من
كرامات الأولياء ، وبركات القديسين

على النيل ، بين القاهرة وحلوان ،
طريق للسيارات ، ضيق ردى

ومنذ عامين تقرر توسيعه وإصلاحه ؛
وبأنه لمشروع جليل

والمشروعات الجلييلة في بلادنا كانت إلى
دس قريب لا ترى النور إلا إذا تبركت بمقام
أحد الأولياء ، أو مستها كرامة قديس .
وكنت تسمع ، دون أن تدعو نفسك
للهشة والعجب ، أن هذا الجسر لم يكن
ليقام لولا نفوذ فلان بك ، ونفعه المحقق
لأرضه ، وأن ذلك الشارع ما كان ليهد لولا
أن لفلان باشا في هذا مآربا . . . وعلى هذا
النسق كان طريق حلوان خلبقا أن يظل
« مزفوقا » بين النيل وأرض الله الواسعة
التي تحف به ، أو لم يكن للملك السابق فيه
مقام اسمه « ركن فاروق »

قد يكون هذا حقا ، وقد يكون بعض
ظن السافرين . . . والسافرون كان لهم ، إلى عهد
قريب ، منطق مرور ، ودعاء مرفوع : أن
يعزى الله أصحاب المصلحة الخاصة بخدمة

الشعراء والخالين وهم يتخيّلون ابن الحقول
يهب الدنا بمضله الفتول ، ويضحك
للشمس مل' فؤاده السعيد ، ويترك التعاسة
لهؤلاء الأتقياء الذين يتلفهم الترف ،
وتتقسمهم العلل ، ويحيط قلوبهم بالشحم
الويلل سم الطعام . . . تذكرت هؤلاء
الخالين وأنا أرى عن كثب أصحاب
العسل الفتول مهزولين يترنحون من التعب ،
صفحات وجوههم المكروبة كأنها ورق
قديم اسفر من قرط ما لذته الشمس . .
وابتساماتهم دموع تجمدت على الشفاه . .
وشدوهم أنين يضمدون به الجراح

ودات صباح رأيت واحدا منهم يقتله
الشمس . . سقطت الفأس من يده . . ووقع
على جنبه . . ونوسد خده الثرى الذى كان
ينبشه منذ لحظات

مات فى اللحظة ، وكأنه حشرة شخصها
فقدم

أ كان مريضا بالقلب وقتلته العلة لا
عن يدرى وهو فى بلد يعيش فيه
الناس ويعتدون دون أن يصل إليهم الطبيب
مرة فى العمر

هل مريضة الشمس لا من يدرى وهو
ابن قوم لا يعنيه كم ساعة يعمل الأجير
فى الشمس الشريرة الحارقة . .

واقشر العمال الذين جاء بهم المقاول
لإبجاز المشروع الشار التمل
جاءوا . . رحيلة

والترحيلة هى مجموعة من الفعلة الذين
يتسم لهم الحظ ، ويجدون عملا لأمد طويل
وبرحلون من قراهم فى قطع كبير يستخفه
علم جميل . . حافل بالخبر

وعلى جانب الطريق خطوا الرجال ،
وأقاموا الخيام . . وملأت المكان زكائب
الخيز ، والزلع والجزار

وكان الخيز من الندة ، يفوح منه مع
رائحة الحلية عطن حيث . . والأواني
الفخارية كان بعضها مفعما بسائل عفن
نسبح فيه قطع من اللفت أو ورق الكرب
الذى تهرأ من القدم . . وبعضها الآخر كان
منلفا على وجبات أسهى ، قوامها دود
كثير يعيش فى جنب قليل

وكنت أراهم كل يوم وأنا أقطع
الطريق بسيارى بن حلوان والتاهرة ،
يعملون فى وقدة الشمس المحرقة ، وفى الليل
والصبح يسهر وهم أشياء عمارة . . وراقبتهم
وهم يشربون الشاى الأسود فى علب الأطعمة
المحفوطة ، ويدخنون التبغ الصمغ بالعسل
جماعات من قصبة واحدة ، وأنانيهم تسيل
شاحبة منهوكة على تراب الطريق
رأيتهم عن قرب ، وتذكرت هواجس

ملاً بطنه بورق الكرب ، والدود ،
والعطن .. وشرب من وحل التنوات ..
هل عاش أهنأ مما تعيش الدواب ؟ هل نظر
أفضل مما تنظر قطط صميرة عمياء تأكلها
أمها قبل أن تنفتح عيونها

وابتعدت .. زكت الوقتي يكون
مينهم .. وبعد خمسين متراً مررت « بركن
فاروق » . وافترس الغيظ قلبي .. وأحسست
أن أناقته .. تصفعني

تذكرت أن (الملك) مر عشرات المرات
من هنا .. ولا بد أنه رأى الحفاة والمرأة
والشمس تمسهرهم .. وعندما كانت
سيارته تمر في ليل ينائر هل كانت
كل نظراته إلى محظياته ونسائه ..
ونسائه الباعثات ، الراويات من الفجور ؟
ألم نحن منه التفاته إلى الناعمين ونحت
جنوبهم الأرض الرطبة وفوقهم السماء
الباكية ! .. هل شغل نفسه مرة بأمر من
كان يسميهم في خطبه « شعبي العزيز » ..

هل فكر يوماً في أواني الفخار المقلقة على
الدود .. وفي الخبز اليابس القائم الشق ..
ألم يرهم وهم ينتفون بأكفهم القفزة
المشقة الماء الأحمر من النيل ، فيندى
جبينه ويهتف كما كان يهتف في المذباح :
لا يا شعبي العزيز .. إن ركن فاروق على

يستوى من يسقط قلبه السقيم بمن
تضربه الشمس الشريرة ، ومن تصرعه
الحصى بمن ينهار عليه جرف الطريق ويدفن
حياً في التراب .. إنهم يذهبون جميعاً
بلا دية ، فإن الحشرات لا تمن لها

ورأيت رفاقه يحيطون به ويكون ..
إنهم ليسوا أقوياء ولا قساة كابتوهم الشعراء ..
إنهم يكسرون الأحجار ولكن ما أيسر
أن تسكر قلوبهم وتنفطر .. إن أحدهم
يضع في فم الميت جرعة ماء ، ويرجع الماء
فيلقى الكوز من أصابعه المرتمة ويلطم
وجهه .. وهذا الشيخ يسند الجنة إلى
صدره وينوح بصوت خشن مذبوح :
« ماذا تقول لأماك .. وزوجتك .. يا حسن ..
كيف تعود وترى أهلك وأنت لست
معنا يا حسن ؟ » .. والباقون ينتحبون
مذعورين ، لا فرق بين تحبهم وبين شذوم
الذي كنت أسميه يسيل محزوناً شاحباً على
تراب الطريق

ونظرت من خلال الأجفان المنمصة
نصف إغمضة إلى عيني الميت الزجاجيتين ،
وتذكرت أن هذا الزجاج كان يبصر منذ
دقائق ، وكانت تنطبع عليه الصور
ولكن هل أبصر حقاً ؟ ماذا رأى
من دنياه ، إنه يام وتقلب على التراب ..

وشدوهم الشاحب الحزين على تراب الطريق
قأرى مجموعة من الجثث لا تلبث أن تغيب
في المجهول كما تغيب الشرع الهائنة على
صفحة النيل

والآن وقد تبدل الحال غير الحال
ما أزال أرى عيني حسن كلما مررت في
طريق حلوان

ولكنها ليستا من الزجاج المغم ..
إنهما نيران وتقولان لي : « أيها المنتشام
إنني لم أكن حشرة ، ولا قطرة ، ولا
بهيمة .. إنني كنت روحا عظيما ..
والأرواح عندما ترهق ظلما لا تذهب
سدى .. إنها تتحول إلى لعنات .. اللعنة
أخذت مكان الفأس في يدي .. صرت بعد
موتى فأسا غير منظورة تعمل في العرش
البغيض وتفتش طريق الملك المنكود ..
أنا لم أمت على مجرد طريق للحجرة يرصف كما
تنوهم .. إن جثتي سقطت على طريق يمتد
ويتشعب في قلب مصر كلها .. إن الأرواح
عندما ترهق ظلما لا تهمل الظالم .. إن الأرواح
البريئة .. لا تذهب سدى

يوسف جوهر

بعد خطوات .. ادخلوا واشربوا ماء ثيبا ..
إن هذا لن يكفني شيئا .. ادخلوا
واستريحوا في ظل الأشجار .. واحتموا
بالأسوار من البرد .. هذا لن يكفني شيئا
يا شعبي العزيز »

وقال لي خاطر رحيم : ليتة يمر الآن ،
ويرى الجنة ، ويتحرك قلبه

وقاطعني خاطر ناعم .. إنك كنت
تضحك من الشعراء الواهين الحالمين ..
هذه أوكار شاعرية .. لو مر الملك من هنا
لتال بكفر هانا السلوك نفرا أنه مات في
طريق ملكي . وهذه الكلاب يكفنيها أن
يهش مولاهما لها .. ولا يسوقها بالسوط
والكرباج .. إن أجدادي كانوا يسمون
هؤلاء المصريين الأذلاء « عبيد إحصانانا »
أما يكفهم أنني أمعن في الرقة والتواضع
وأدعوهم « شعبي العزيز »

وكنت كلما مررت بسيارتي قرب ركن
فاروق أرى بقلبي المهين وبكبريائي الجريح
جثة حسن وعينيه الزجاجيتين .

كنت أرى رفاقه يواصلون عملهم
المنكود ، ويسكبون أعمارهم ، وفواهم ،

الخفافيش

للفقيصمى الإنجليزية صاويهمرام

بقلم الأستاذ أحمد خليل

فأجاب « أنتظر بعض الأصدقاء .
تواعدنا على اللقاء بعد الصلاة في الكنيسة »
وانتفت إلى بيت على طراز شبيه بالقوطى
خصص لسكنى الحيوانات الثديية الصغيرة ،
وقل لم لا ندخل ونلقى نظرة على الخفافيش
قبل أن تستيقظ ؟

فأجبت (أما أنا فلا ! إني أمقت
الخفافيش ، ويقتسم بدنى لرؤيتها) ولست
أدرى لم هذا ، ولكن الحق أن ذلك
الحيوان الوديع يثير في نفسى نفورا لا يعدله
إلا نفور الفيلة — وأقل منه نفور النساء
— من الفيران المسألة التي لا نضر ولا
تؤذى . وكراهية الفيل لصحبة الفيران
معروفة مشهورة تبلغ منه مبلغ العتة
النفسية ، فإذا هبط إلى عرينه فار انشأته
نوبة هستيرية من الخوف وارتمى في أحضان
أقرب - ارس والدموع تساقط من عينيه
ولا يهدأ له روع حتى يتم طرد الدخيل في

انتخبته منذ حوالى خمس سنوات
عضوا في الجمعية الملكية للحيوان ، ومن
ذلك الوقت وأنا أعتبر حديقة الحيوان مكانا
يصلح لأن يسرى فيه الإنسان عن نفسه ،
ويفيد منه ، إذا قضى به ساعة من صباح
الأحد حينما يكون الجو صحو ، ففي صحبة
الحيوان المقرض ترويح وترفيه لطيف ،
أو كما يقول مترلك بحق إن الإنسان كلما
زاد اختلاطه بأبناء عشيرته زاد إقباله على
سباع البحر

وفي صحبة الأحد الماضى لم يكن نعمة
بشيء ما يشغلنى ، فأخذت أجول في حديقة
الحيوان ، أستمتع بالنسيم العليل ، وأناجى
أصدقائى البكم ، إلى أن وقتت جأة على
صديق قديم — برسى بيفن — لم أصادفه
منذ عهد الدراسة

« فقلت مرحبا : برسى ! ماذا تصنع

هنا ؟ »

غير رحمة ولا شفقة

ويجبل إلى أن الذي حدث منذ آلاف السنين أن قازا مرتاعا ضل طريقه إلى جحره امتداد ، ودخل خرطوم فيل ، وأوغل فيه ، وأسرف في إيذائه . وتناقلت الفيلة القصة المزعجة جيلا بعد جيل ، حتى صار احتمال وقوع مثل هذا الحادث أمرا يورقهم ويقض مضاجعهم أثناء الليل ، وبزعجهم ويشغل بالهم أطراف النهار . وتعلم الأطفال منهم في أحضان أمهاتهم هذا الدرس فتأصل في غرائزهم وجعلوا ينظرون إلى النيران نظرات مريبة بالخوف والفرع وإني أقر أني لا أخشى أن تقرب الخفافيش إلى خرطومي ولكني مع ذلك لا أستطيع أن أراها دون أن أحس بمثل نفور القيلة . ثم إنها تستثير إحساسا بسوء الطالع ، فعادة النوم والرأس متجه إلى أسفل والجسم يتدلى من السقف شي لم استطع قط أن أستيفه . وهناك عادة أخرى عرفت عنها وهي عادة الاشتباك بشعر الإنسان ، وإني أعترف أنني لم أسأف أحدا شكاً من خفافيش تكمن في شعره . وفيما يتعلق بشخصي فإني أستمع منذ عهد بعيد بحصانة كاملة تقني مثل هذه الكارثة ، فقد عبثت به السنون ولم ترك فيه مكانا يصلح عشا لخفاش

مصرف في القناعة والزهد ، وصار أشبه الأشياء بفناء مصفر للارتلاق

وعلى الرغم من ذلك كله فالخفافيش تشير في نفسي اشتزازا لا أقوى على إخفائه مهما فعلت ، كما أوضحت لصديق ينفذ فقال وأنا أحاول أن أستدرجه في رفق إلى بيت الرواحف: جدا أنت غطيت ثم استطرد بقول (فلا ريب أن الخفافيش والعناكب والبموض قد خلقت لحكمة إلهية تقصر أفهامنا المحدودة عن إدراكها . والله في خلقه شؤون)

فقلت (نعم)

فقلت: برسي (لقد كان لخفاش في حياتي شأن كبير ، وأظنني أخبرتك بقصته) فقال (إن كنت قد فعلت فقد نسيتها ، خبرني بها مرة أخرى

فقال (حسن جدا . سأقصها عليك) وأخذ يسرد القصة فقال :

من ست سنوات خلت حينما كان عمري أصغر مما هو عليه الآن بست سنوات دعيت في شهر يوليو إلى أن أقضى عطلة الأسبوع في بالسام فريري ، ذلك القصر الإنجليزي اللئيف الذي ينهض مثالا رائعا لفن المعمار في عهد إليزابيث ، والذي لا يمد له في نخامته إلا القليل من القصور على هذا الجانب من المحيط الأطلسي . استأجر سير بورويك

حرصاً يحملها على استبعاد فكرة الزواج مني،
ولذلك ينبغي أن أعتبرها من تلك اللحظة
أختي العزيزة

تفطر قلبي للصدمة الأليمة ، فأنطويت
على نفسي ، وواريت أحزاني في غمرة اللهمو
والغيث ، وظللت زهاء ثلاثة شهور أنوحى
تجنب الحفلات التي يحتمل أن تحضرها
حبيبتي القاسية جوليا . ولجأه وصلتنى
الدعوة لزيارة بالسام فريارى فادعشتنى
وأقلت بالى . خفت أن أعرض قلبي الجريح
للعنة أخرى ، ولكنى كنت كالقراشة التى
ظلما ألقت الشعراء ، لا أقوى على البقاء
بميدا عن اللهب الجذاب طويلا ؛ ولذلك
وجدتني منساقا إلى الكتابة إلى السيدة
تراوت أعبر عن سرورى لقبول دعوتها . ولعل
بارقة أمل فى أحشاء قلبي جاشت فى صدرى
بلدت بالسام فريارى حوالى الساعة
السابعة من مساء السبت ، فوجدت جمعا
زائرا قد التأم فى قاعة فسيحة مغطاة الجدر
بجسب البلوط . وكان واضحا أن بعضهم
قد حضر فى موعد تناول الشاي ، يذران
على الحديث شئ من الفتور ، وأحاط
بالسيف بعض زملائى الصيوف يرمقون
بعين الملل صحيفة كبيرة مليئة بالجمارين
يعرضها عوفى حماسه المعتادة التى لا تعرف
الكلل

تراوت عالم الآثار المصرية المشهور هذا
القصر فى تلك السنة التى أتحدث عنها لمدة
الصيف ، واعتاد هو وزوجته وابنته
جوليا استضافة جمع كبير من الأصدقاء من
السبت إلى الاثنين من كل أسبوع

وكان سير بورويك قد اعتاد أن يقضى
الشتاء فى مصر ، ينتقب عن آثار الفراعنة
الذين بالنوا جهدهم فى الاحتياط لمنع مثل هذا
السطو على كنوزهم ، وأمكنه بالتدريج على
نهب عدد لا حصر له من القبور جمع مجموعة
فريدة من الجمارين بصر دواما على أن
يعرضها على ضيوفه . ولم يكن يمنعنى من
قبول الدعوة إلى بالسام فريارى سوى
أمرين ؛ أن أرغم على مشاهدة مجموعة
الجمارين ، وأن أظل يومين فى القصر متهيئا
لقاء ابنته جوليا

وكانت جوليا تراوت فتاة رائمة الجمال
تفيض رقة وعذوبة ، ثم إنها كانت فوق
ذلك الوارثة الوحيدة ، وهذه حقيقة أقرر
فى إخلاص أنها كثيرا ما أخرجتنى . وقد
أخذت مدى عام أنتهز كل فرصة لأدلى إلى
جوليا برأى فيها فلا تقابل مديحى إلا
بالابتسام الساخر . وفى آخر لقاء كاشفتها بحبى
وصارحتها أنى لا أستطيع العيش بدونها ،
فطلبت إلى ألا أكون أبله وقت إنها تكن
لى أخلص الود ، ونحرص على صداقتى

رأسك « حين رأى رأسي يصطدم في عنف
بحلقة خشبية متدلية في الباب ، وهي حلقة
من تلك الزخارف التي تجعل بيوت اليهود دور
غير صالحة للسكنى .

فسأله مشيراً إلى نابوت كبير منطلي
بتمش من التيل المشجر في ركن من أركان
الغرفة . . . ساهذا بالله عليك ؟

— « لا شيء ، إنه خزانة ليس إلا »
قال ذلك وأخرج من جيبه مفتاحاً وفتحها
— خزانة ؟

— نعم خزانة ، أضع فيها جماري كل ليلة
وصحب الدول بالقلع « وتحفظ فيها زوجتي حليها
وبعض الآنية الذهبية . لا تقلق ، ولا تخش
الصوص ، فسينام بوتو معك » ثم أشار
إلى جبل يمتدني بحوار المدفأة وقال « هذا
تدير الحريق ، والجرس فوق السطح ، فإذا
جذبت هذا الجبل جاءك أهل القرية جميعاً
في دقيقتين . »

قللت ضاحكاً « إذن لن أقبل »
فقال « حسن . هاءنذا قد عرفتك .
عرفتك . والعشاء في الساعة الثامنة
والنصف والملابس بطبيعة الحال السمرة
السوداء . »

وعادرت الغرفة وأخذت أرتدى ثيابي
تأهباً للعشاء .
ولم يحدث في ذلك المساء شيء ذو بال

وانتخذ الجمع وصولي ذريعة للخلاص
من هذا الواجب المسمى . ورحبوا في نشوة
بالغة باقتراح الضيف أن يرشد كلا منهم إلى
حجرته . ونزلت السيدة تراوت وابنتها حوليا
إرشاد السيدات إلى حجراتهن ، وكانت
حوليا قد رحبت بي في رقة ودلال كما دأبها ،
دون أن تلم عينها عما في قلبها ، مما أذهلني
وأفلق بالي

أما سير بوروبك فقد جمع جمارينه
وطلب إلى ضيوفه أن يتعموه . وحينما اطمأن
إلى أن كل واحد منهم قد استقر في حجرته
التفت إلي وقال « أرجو المذرة يا عزيزي
بيفن ، فقد اضطررت في آخر اللحظة إلى أن
أقدم حجرتك لشقيق زوجتي — السكرتل
وترسبون المعجوز — الذي حضر على غير
انتظار »

فتمتمت بكلام عن قبول عذره
فاستمر يقول « لقد خصصت لك
حجرة نوم رئيس الخدم ، أما منتجز في
مكانه أن يدبر لنفسه مكاناً فوق حظيرة
السيارات ، إلى على يقين من أنك سوف
تستريح »

« أنا واثق من ذلك »
ثم تقدمتني إلى حجرة صغيرة في الطابق
الأرضي تكاد تكون خلوا من الأثاث
وقال « هنا » وأضاف « حاذر أن تصدم

الابتسامة الغامضة التي طالما شغلت فكري
وأفلقني بالي

ولم يكن مضيفنا من أولئك الذين
يطيرون السهر ، ففي منتصف الليل رأى أن
نلجأ إلى فراشنا

وفي طريقى إلى غرفتى صرت أسائل
نفسى هل سأجد فى بوتو رفيقا ودعما حلوا
الشئائل كما تنبأت مضيفتى ، وأخذت
أتصوره كلبا صغيرا مدلا يمت بصلة إلى قصيلة
أجنبية وعنيت ألا يكون من تلك المخلوقات
الفضيلة المادية التي تشبه البموض ولا تكف
عن التباح المديم الجدوى

ولقد ما عجبت حينما دخلت غرفتى -
بعد أن تعثرت فى درجتين غير ظاهرتين
وصدمت رأسى مرة أخرى بالباب -
وشاعدت كلبا ضخما أتراسيا من نوع
الولف تمددا فوق السجادة ورأسه بين
مخالبه وفي عينيه نظرة توجس ، ارتياح
ليست غير طبيعية إذا ذكرنا أننا لم نكن قد
تعارفنا بعد

فبدأت أدله بقولى : « هيه يا بوتو ! أيها
الرجل المعجوز ! » ولكن بوتو ظل مصما
أذنيه ، فلما اقتربت منه فى حذر هدر ثغاة ،
ورفع طرفا من شفته ليكشف عن أسنانه
الحادة العجيبة . على أنه فى الوقت نفسه
أدهشتنى كثيرا بأن هز ذيله فى هودة ،

سوى أنني أجلس إلى جوار جوليا فبلغ
من اضطرابى أنى لم أجدها أقول . وإلى
الجانب الآخر منها جلس شاب من ضباط
الحرس هولوردد مولا ريردج ، ظل ينازلها
فى تبدل احتغنى عليه . وبعد العشاء لعبنا
البردج فتكرر خطئى . ولم يكن فى وسعى
أن أركز انتباهى فى اللعب . وهكذا
فضيت سهرة أثيلة نعمة لم أعف منها إلا
حوالى الساعة الحادية عشرة والنصف حين
أخذ السيدات ينصرفن إلى قراشهن .
وحينما بلغت السيدة تراوت أول الدرج
التفتت إلى وقالت « سوف تجد بوتو فى
غرفتك . إنه كلب ودع . إنه صديق جوليا
وستحبه »

فأجبت « سكر . ولكن لا داعى
للمع »
فقلت « لاتعب بالمره . إنه ينام هناك
دأما »

ثم التفتت إلى رئيس الخدم وقالت
« متعجز ، هل ذهبت بالسيد بوتو إلى
الخارج ؟ »

« نعم ياسيدتى . قام بحولته بعد العشاء
- إذن فسيكون على خير مايرام . ليلة
سعيدة يا مسر يفرن ونوما هنيئا

- « ليلة سعيدة وأحلاما بهيجة »
كذلك قالت جوليا ، وعلى فيها تلك

بازدراء ، ثم أدركت من تحبط في الماء أنه يشرب من إناء موضوع بجوار حوض غسل الأيدي ، وتابع طوافه الصامت حتى بلغ الفراش ، وبعد لحظة سكون - كنت فيها أنفاسي متسائلا ماذا تكون الخطوة التالية - ففر فجأة في الهواء واستقر بكل ثقله على سائ

ولست سبالغا إذا قلت إن قلبي قد توقفت دقيقة ، فقد ملكني الرعب ، وذكرت القصص المتواترة عن وحشية الكلاب الأتراسبية ، ونوقعت بين لحظة وأخرى أن تنهال أنفاسه الدافئة على وجهي وأن ينشب أنيابه الحادة في عنقي

على أني بينت أن مخاوفي كانت أوهاما ، وظهرت نيات بوتو الطيبة ، وأخذ يتقلب بعض الوقت دافعا بي تدريجا إلى الحائط ، ورقصد في جوار ركبتني ، وشهد في رضا ، وتأهب للاستغراق في النوم

وكانت ليلة من ليالي يوليه الدافئة ، أضيفت إليها هذه الرغبة الطبيعية من الماء الساخن ، فانقطع كل أمل في النوم ، وبلغ من ثقل بوتو على الأغشية أن صار من المستحيل علي أن أبدي حراكا ، فأممت بأنني سأقضي ليلة مزعجة غاية الإزعاج ، وعانيت أكثر من أي وقت مضى لو أني بقيت بعيدا عن السام فرياري

وتلك حركة لم تبد متفقة تماما مع مقتضيات الموقف ، فقد كنت أعلم أن الكلب الذي يهدد يكشف عن سخطه والذي يهر ذيله يعبر عن غبطته ، أما أن يجمع بوتو بين الحركتين فذلك أمر شاذ بشير الحيرة والارتباك

وتذكرت النمل القديم عن ترك الكلاب النائمة وشأنها ، ورأيت عين الصواب في أن أترك الكلب النائم وشأنه ولو أن الكلب بالذات في تمام اليقظة

وانسحبت إلى ركن حصين من الغرفة وراء الخزانة ، وأخذت أغير ثيابي في سرعة وهدوء قدر الإمكان ، ولاحظت في أثناء ذلك أن بوتو ينظر إلى بعين الاحتقار المطرد ، وجنبا مسحت أسناني بالفروسة وتمضمضت بدت في عينيه نظرة أندهاش دلت على أن منتحز الوفي لم يكن من عاداته أداء هذه التراجيبات الليلية الضرورية . وأخيرا استلقيت على فراشي وأطقت النور ، وتأهب للنوم

وتنهدت في الحال إلى أن بوتو قد نهض واقفا وأخذ يجول في الغرفة في غير مألوفة ، فقاومت كل رغبة طبيعية في النهوض والفتك بالمدو الزاحف ، وقنمت بتتبع حركاته المختلفة قدر ما وسعني في الظلام الخيم وخيل إلى أني أسمعه يفحص حذائي

كنت منتعز يخلصني منه . آسف أن
أبقتك . »

— لا تأسني أوجوك . إني أحب
أن أوقظ . ومع ذلك لما يستطيعه منتعز
أستطيع أن أفعله

— يكون لك فضل عظيم

والتفتت إلى كتبها وقالت « إليك عني
يا بونتو ! إليك عني ! » وكان الحيوان
الذي يحبها بشغف بالغ آثار إعجابي وعطفي
عليه

وأمرعت بارتداء ثوبي وخفي وبعثتها
إلى الطابق العلوي وبونتو في أترى واجترنا
ممرات معتمة حتى بلغنا غرفتها في الطرف
الآخر من القصر

ودخلنا الحجرة في غير ما جلبة ،
وأناق الباب خلفنا ، ولجئنا عن الخفافش
تحت « قيقا دون أن نمر به على أثر . وقالت
جوليا

— ربما كان مخبئ . وأعله أحسن
بندوبنا .

— سوف يجده بونتو حالا
ولت ذلك أملا أن يماوننا ولسكنه لم
يخجل بنا ، واشغل عنا بإزاء فيه ماء ، وما
أظنني شاهدت في حياتي كلبا دائم الظمأ
مثل بونتو

وقالت جوليا « أظنه قد جثم فوق

وبعد مضي ساعة أحسست حجة وأنا
فيما يشبه الغيوبة أن بونتو قد استيقظ ،
وتحرك في قفلي وسمعتة يزوم في صوت
خافت ، وفي نفس اللحظة سمعت طرقا
خفيفا على الباب ، جلست وأضأت الغرفة
وقلت للطارق : « أدخل »

وفتح الباب ووقفت على عتبة جوليا ،
وفي يدها مصباح ، وعليها ثوب من الحرير
الصيني المزركش ، وفي قدميها حذاء من
الفراء ، يمدده سروالي من الحرير القز نفلي
اللون . والفرقة الثانية هذه الليلة توقفت دقائق
قلبي ، غير أنها توقفت من فرط السرور
المتراج بالدخلة

قالت « أو منتعز » ولحمتي فحاسة
فصدرت عنها مزرخة دهر خفيفة
فسألت « هل حدث شيء ؟ »

— ربي ! أنت ! معذرة . ظننت .
— أردت منتعز

— إنه يذم فوق حظيرة السيارات .
هل لي أن أفعل شيئا ؟

— الأمر وما فيه خفافش .
— خفافش ؟

— في حجرني .
— يا إلهي ! وماذا يصنع هناك ؟

— « يتخبط . ولكنك ترى أنني
لن تنقل لي عين والخفافش في الحجرة .

وقالت جوليا « لا بأس . إنه الحارس الليلي » وأخافت في بشاشة « مساء الخير يا باربر . الجو جميل . جميل الليلة . أليس كذلك ؟ »

فقال باربر في صوت أجش « ليلة سعيدة بأسيدتي » متجاهلا تعليقها على حالة الجو

فقالت جوليا « كان مستر ريفن يعاونني على طرد خفاش من حجرتي »
— « خفاش ؟ أجل بأسيدتي »

قال ذلك في لهجة لا تبحث على الاطمئنان فسألت « هل سادته في الردهة ؟ »
— لا سيدتي . لم أصادف خفاشا الليلة .

إذن فلا بد أنه أقفلت من النافذة
— أجل . سيدتي
— لا يهم والتفتت إلى وقالت « آسف أن أزعجتك . سبرافتك باربر إلى غرفتك . تسمح يا باربر ؟ »
— نعم سيدتي
— ليلة سعيدة إذن !

« ليلة سعيدة » وأنصفت « وأظن الأفضل أن تحتفظي بيوتو . وسيكون أسعد حالا . » وعدت في أثر باربر إلى غرفتي ملتزما المذود . والظاهر أن الرجل كان يميل بطبيعته إلى العبوس والانتقاض فلم يجازني

الصوان ، حتى إذا ما لجأت إلى فراشي جمل يتخبط من حولي . »

— إنني أعرف خير طريقة للتخلص من الخفافيش . لقد قرأتها في كتاب .
— أي كتاب ؟

— لا أذكر ، ولكنه يقول إذا أطفأت الصباح ومكثت ساكنا لحظات حتى يسترجع الخفاش ثمنه بنفسه وفتحت الباب تحاة فإنه يخرج إلى الردهة
— وهل يليق ذلك ؟
— يليق .

— أقصد هل يرضى والدي أن نطلق الخفافيش في أرجاء البيت ؟
— ومن يذريه ؟
— حسن . فلنحاول .

فالت ذلك في شيء من التردد . فأطفأت النور ووقفت إلى جانب الباب في ظلام حالك وسكون شامل نحو نصف دقيقة ، حتى حبل إلى أن الخفاش قد أمهل بما فيه الكفاية ليخرج من مخبأه ، ثم تلمست أكرة الباب وأدريتها بسرعة ، وفتحته على مضراعية ، وإذا برجل بدين متوسط السن ذي لحية يقف في الردهة ، حاملا مصباحا في يده ، وقد بدت على وجهه أمارات الدهشة ، فتولاني الارتباك وأحسست أن الموقوف يتطلب شيئا من الإيضاح

في حديث ولذلك كرهت مفاخرته في شيء
وأدركت من مملكته أنه يميل إلى
إساءة الظن بتصرفاتي ، فساءلت نفسي هل
من السكينة أن أهبه نصف جنبيه مثلاً لعلني
أضيق سكوتة ؟ غير أن إحساساً داخلياً
حقزني إلى الإحجام عن التورط في هذه
الخطوة الطائشة ، وعدلت عن محاولة رشو
الرجل الموقر . ولما تركني عدت إلى فراشي
مؤملاً خيراً ومراً ، أما المنياب بوتو ، وأطفال
النور مرة أخرى

واستغرقت لئوى في سبات عميق . وبينما
كنت في وسط حلم شائن زاحراً بالحياة أقذفه
حياة جوليا من هجمة حيوان ضار ضخم ،
إذ حدث ما أبهظني فجأة ، فأهب من نومي
على طرق الباب

فقلت للطارق : « ادخل » بصوت نيم عن
شيء من العنجر لأنني كنت قد بلغت في
حلمي غاية الانفعال إذ ألتفت في الحلم جوليا
بنفسها في غير ما تحفظ بين أحضاني
وفتح الباب وقد أفتت ، ووقمت عيني على
الجمال الحبيب ، فانبعثت من قلبي سيحة فرح لم
يكن في وسعي أن أكتسبها

وقالت جوليا في خمر وقد ارتسمت على
فها ابتسامة رقيقة تحمل أبلغ آيات الاعتذار
« آسف أن أوقظك مرة أخرى ، ولكن
الخفافاش نفسه قد عاد إلى حجرتي »

فسألت « وأنت أنت ؟ »
— « وأنت ؟ » وكبرت الكلمة في
كثير من الحلق
فسارعت إلى الإيضاح قائلاً « أقصد
هل أنت واثقة من أنه الخفافاش نفسه وليس
آخر يشبهه ؟ ربما كان توأمًا له أو زميلًا
على ساكلته ، فما أشد الشبه بين الخفافيش
كلًا تعالين ، وإذا لم تفحصها جيدًا .. »
فقاطعتني قائلة : « است أدري شيئًا
عنها ، وكل ما أعلمه أن خفافاشًا في حجرتي
وأكون ممتنة جدًا إذا ... »

فقلت : « طبعًا . أمهليني لحظة حتى
أرتدي ثوبي »

وبلغنا حجرة جوليا للمرة الثانية في
تلك الليلة فلم نعثر على شيء . وكان بوتو قد
انتهز فرصة غياب سيده فقفز إلى فراشها
وأستد رأسه إلى الخدة متظاهراً بالنوم
فرجرت جوليا قائلة « أنزل فوراً يا بوتو
فأنت تعلم جيدًا أن هذا الفراش ليس لك »
فزل بوتو متشاقلاً كأنما قد جرحت
كبريائه ، وشغل نفسه بارتشاف قطرات
من الماء

قالت جوليا « غريب أمر هذا الخفافاش
لا بد أنه هنا في مكان ما »
« إن خططنا القديمة أفلحت كثيرًا ، فلم
لا نعيدنا ؟ »

— لم لا ؟

ومرة أخرى أطفأت النور وكتمت
نفسى وأصنيت . ولا أدري أهو مجرد وهم
أم أنى سمعت حفيف أجنحة ؟ وفى لمح
البصر تلمست أكرة الباب وانترمتها
بعنف شديد ، فوجدتني ملقى على الأرض
والمقبض فى يدي والباب مغلقا كما كان

فسأت جوليا « ماذا نفعل ؟ »

قلت : « انحللت الأكرة »

فقلت فى ضجر : « أعدها إلى مكانها
— أرجوك »

فقممت إلى القفل أحاول أن أعيد
الأكرة إلى حيث كانت ، وقلت أطمئنها :
« لحظة واحدة ! إني أبذل قصارى جهدى »
والظاهر أن ارتبا كى كان قد بلغ حده
فذهبت جهودى عبثا ، ولما أضأت الحجر
عرفت أنى دفعت قضيب الأكرة أكثر
من اللازم بحيث صار من المستحيل تحريكها
وسأت جوليا « كيف الحال ؟ »

فأجبت « ليست على ما يرام . فإني

لا أستطيع مطلقا فتح الباب »

— ولكن يجب أن تفتحه

— آسف . فذلك مستحيل

— ولكن ألا تدرك أنك لا تستطيع

أن تقضى الليل هنا ؟

— بطبيعة الحال لا أريد ذلك

وأدركت فوراً ما فى هذه العبارة من

جفاء ، قلت أصحح هفوتى « أقصد أنى
أعلم أنى لا أستطيع ، ولكنى لا أرى
مخرجا »

وأخذنا نعالج الباب بكل ما وقع فى
أيدينا من أدوات ، ولكننا لم نوفق ، وصار
حتماً أن تستسلم لمسيرنا

قلت « أرجو أن تلجئنى إلى فراشك

قبل أن تصابى يبرد . يمكننى أن أسترخ

على هذا الكرسي حتى يأتى من يخرجنى »

وحاولت أن أظاهر بشئ من المرح وعدم

الاكتراث ، وأنا أبعد الناس عن المرح

وعدم الاكتراث

ولابد أن الساعة كانت حوالى الثالثة

صباحا ، إذ كان البرد قارسا ، فأصرت

جوليا على أن أتدثر وعادت مضطرة إلى

فراشها وأطفأت النور

وكان الموقف حرجا ، ولكنى شرعت

أسرى عن نفسى ، وأنشبه بفارس من

فرسان البطولة ، تضطره ظروفه إلى السهر

طول الليل . وكما تحركت أحدث الكرسي

صربا ، فالترمت السكون كى لا أوقظ

مرافقتى . على أنها لم تنم ، إذ سمعتها تقول

« أوه ! دعنى أرجوك ! » ثم أردفت « أوه !

أهو أنت يا بوتي ! » والظاهر أن الكلب

كان قد قفز ثمانية إلى فراشها

وتسلل إلى الخارج حينما يدرون ظهورهم
إليك «

ظهورهم ؟

— جرت العادة أن تأتي الخادم ومعهما
وصيقتي حاملة كوب الشاي «

— أوه ! « ففت بها في غير مرح
لأن الفكرة لم تبد سهلة ميسرة ، والفراق
دونه مختلف المعانيات

على أن الخطلة نجحت نجاحا فاق
ما كنت أومل ، والفيت نفسي تسلل في
خفة إلى الردهة وأسرع إلى حجرتي مرتاح
البال

ولكن هذا الارتياح وا أسمعاه ! لم
يدم إلا لحظات . فما أن فتحت باب غرفتي
حتى شاعدت منظرا أشاع الرعب في أوصالي .
فقد كانت أشبه الأشياء بغرفة من غرف
فرسا احتلها الألمان ثم جلوا عنها ، فلأثاث
متناثر ومحتويات الأدراج مبعثرة ، وفي
استطاعتك أن تتصور شعوري وقتئذ حين
رأيت باب الخزانة مفتوحا والخزانة نفسها
خاوية

ولم يكن الأمر في حاجة إلى بوليس
سري يكشف عما حدث . فقد اقتحم
للصوص النافذة ، وأحدثوا بالديناميت نفرة
في الخزانة . وهذا يفسر الانفجار الذي
عزته جوايسا إلى سارق الصيد المتطفلين ،

واستدارت ، وأنت أنه خافته ، ثم
انظمت نفسها فجسها أغفت ، وحاولت
أنا الآخر أن أغفو قدر ما يسمح حالي ،
غير أنني سمعت صوت انفجار مكتوم ،
فقتبعت وصحت برغمي : « ما هذا يا إلهي ! »
وأمكنني أن أرى على ضوء الفجر جوليا
مفتوحة العينين

فسألت : « هل وقع شيء ؟ »
فأجبت : « أظنني سمعت حلقا ماريا »
فقلت : « سارقو الصيد على ما أظن .
لا تحمل بهم »

فاستلقيت على كرسي ، ولكن سرعان
ما أدركت أن النعاس قد بات أمرا لا محل
له ، فالطيور قد أخذت تستيقظ وتقفز على
البساط الأخضر ، والسماء الرمادية اللون
قد أخذت تشوبها حمرة ، وبمنظرة إلى الساعة
الصغيرة الموضوعة على المائدة بجوار فراش
جوليا ، تبين أننا في الساعة الخامسة وعشرين
دقيقة

فقلت وكأنني بها نقرأ أفكارى « بقيت
ساعتان . فهم يوقظونني عادة في منتصف
الساعة الثامنة »

فتساءلت : « وكيف الخلاص من هذا
الحرج ؟ »

فأجبت : « لقد فكرت في الأمر .
وأرى أن تحتمي خلف الباب حينما يدخلون

فبدأت « عفوا سير بورويك ... »
فصاح « يا الشيطان ! من هنا » واستدار
فخاة فارتلق النوسي من يده وأحدث جرحا
طويلا في دقته

وقلت آسفا « أخشى أن تكون قد
جرحت نفسك »

فسأل غاضبا « ومن يكون المخطئ في
هذا ؟ ألا تستطيع أن تطرق الباب قبل أن
تدخل ؟ ماريا ! » وقصد إلى باب حجرة
زوجته وصاح « ماريا ! ماذا صنعت بعدما
الجس الملعونة ؟ »

— لحظة باعزري . سأحضرها

لك

وجاءت السيدة تراوت فأدهشها وجودي
وسألت

« ماذا حدث ؟ هل أصاب مستر بيغن

شيء ؟ »

فقال زوجها « كلا . قبحه الله . كاد
أن يجعلني أذبح نفسي . هذا كل ما في
الأمر ! »

فعدت أقول « معذرة . ولكن ... »

— ماذا ؟

— إن آسف . ولكن ينبغي لي

أن أخبرك ..

— تخبرني لماذا ؟

— حدثت سرقة بسيطة

واغتنم اللصوص فرصة عياني وسرقوا حلي
مضيفتي ومجموعة الجواهر المشهورة التي
قضى سير بورويك زهرة حياته في جمعها
والحق أني لم أقع طول حياتي في مثل
هذا الموقف المعقد . وكيف الخلاص من
هذا المأزق بطريقة تحفظ على كرامتي
وشرفي ؟ إذا قلت الحق ، فمن يصدقني ؟
وإذا ادعيت أنني كنت غارقا في سبات عميق
في فراشي فمن يصدق أن الديناميت
لا يوقظني ؟ وفكرت في أن أقيد نفسي بحبل
وأضرب رأسي بآلة حادة كيما يجدني أول
قادم ملقى على الأرض بلا حراك . ولكن
هذه الخطة لم تكن ميسورة التنفيذ ، فلو
قيدت نفسي بحبل الجرس فكيف أديق
رأسي ؟ ولو بدأت بدق رأسي وأنمي على
فكيف أقيد نفسي ؟

وبعد استعراض الموقف من جميع
وجوهه لم أجد بدا من الالتجاء إلى مضيبي
وإخطاره بالقصة كلها والاستسلام له يتصرف
في أمري كما يشاء .

واستجملت ما بقي من شجاعتي ،
واجترت الدهاليز إلى حجرة سير بورويك ،
وطرقت الباب . ولما لم يجب أحد فنحت
الباب ودخلت

وكان مضيبي واقفا أمام المرأة يخلق دقته
والصابون قد غطى أذنيه فلم يشعر بوجودي

- سرقة ؟
- أجل .
- سرقة ؟ أين ؟ ومتى ؟ وماذا
- تقصد !
- في حجرة نومي
- يا إلهي ! أقصد الخزانة ؟
- أجل
- وجواهرى !
- وجمارينى !
- واندفع ببر بورويك إلى الدهليز وهو
- يصيح
- « جمارينى ! جمارينى ! »
- وتبعته أنا وزوجته حتى بلغنا الغرفة
- الخربة وكان مننجز وباربر واثنان من الخدم
- قد تجمعوا في المدخل . فأزاحهم سير بورويك
- من طريقه وشرول إلى الخزانة المفتوحة
- وألقى عليها نظرة سريعة ثم التفت إلى
- مننجز وسأله
- هل أخطرت البوليس ؟
- كنت على وشك أن أفعل
- إذن ، أخطرهم في الحال .
- أمرك يا سيدي
- واحتسنى مننجز والتفت مضيقا إلى
- الحارس الليلي وسأله « كيف حدث هذا
- يا باربر ؟ »
- « لا أدري يا سيدي . وربما يستطيع
- هذا السيد أن يبيننا بشئ » وأشار إلى .
- فقلت متلعنا « أكيد . بطبيعة الحال .. »
- فقال مضيقا موجه الكلام إلى « ماذا ؟
- لقد كنت هنا ليلة أمس على ما اعتقد ؟ »
- لم تنفل عني لحظة
- لقد شغلت هذه الحجرة
- أجل ! شغلها من الناحية
- النظرية
- إذن نخبرنا ! كيف اقتحمها
- الصوص ؟
- من النافذة على ما أظن
- ألم تسمعهم ؟
- لا . لا أستطيع أن أقول إنى
- سمعتهم
- فقات السيدة تروات « ربما هجموا
- عليه وضربوه ضربة أطارت صوابه »
- فقال سير بورويك « كلام فارغ .
- لا يستطيع شئ أن يطير صوابه . والآن
- يا يمين خبرنا ، لقد كنت هنا فإذا حدث ؟
- وماذا فعلت حينما أقبل اللصوص ؟ »
- الواقع أنى لم أكن هنا
- لم تكن هنا ؟
- وسألت السيدة تروات « وأين كان
- يوثقو ؟ »
- فأجبت « كان هو الآخر نائما في
- الخارج »

« كما تشائين » ووجه الخطاب إلى
قائلا « إن أضيق وقتي في وسفك بالصفات
التي تستحقها . والقطار إلى لندن يقوم في
الساعة ١٠.٣٥ . ولكن قبل أن تذهب ،
هناك شيء واحد أصر على معرفته . في
غرفة من كنت ؟ »

فقائلة « قايلا » أرفض أن أخبرك .
فأنا رجل شريف »

« رجل شريف ! » ثم أراح
زوجته جانبا وساح بأعلى صوته « أخبرني
باسم الحاشوقة العسة قورا ، وأقسم أنني
سأطردها من البيت في الحال . »

فتدخلت زوجته قائلة « من المؤكد
أنها ليست السيدة إيرثنول ولا السيدة
تشيبي الكينة ولا أليس جالوم »
وقال هو « والمجوز وندلشام
مستبعدة »

فقالت السيدة تروات « إذن لم يبق
إلا الأوانس »

فهجم سير بورويك على كالنمر صائحا
« لا أظنك زعم ! إذا جاز أن يحدث ذلك
في هذا البيت ! فإني أقسم أن أزوجهك من
الفتاة غدا ! »

قلت « وليكن ! فلا مانع عندي ! »
وبعد كان يفيق يقص على هذه القصة
الطويلة إذا به يتوقف فجأة ، وينظر في فخار

فنظر إلى سير بورويك نظرة قاسية
وقال « هل لي أن أستنتج أنك لم تقض
الليلة في حجرتك ؟ »

قلت « لا . أقصد نعم .. أي أني ...
فالتفت مضيقا إلى الخدم وأمرهم
بالخروج وقال في عذبة ما كنت أظنك في
أي ظرف آخر » والآن يا سيدي ! يا صديقي
الصغير ! أكون ممثلا لو أخبرني كيف
قضيت الليل »

فأجبت في بساطة « كنت أصيد
الحفافيش »

— لا تحاول أن تسخر مني
يا سيدي !

— ما بي من حاجة إلى ذلك .
أقصد أن لا أسخر

— هل أفهم من ذلك أنك لم تشغل
حجرتك ؟

— أجل ! لك أن تفهم الأمر على
هذا الوضع

— وأنت قضيت الليل في حجرة
أخرى ؟

— أجل ! أظن ذلك
فالتفت إلى زوجته وقال « ماريا ! أرى

الأوفى أن تتركينا »
فقالت وقد غلب عليها الحياء « أفضل

أن أبقى . »

إلى سيدة بارعة الجمال تقود طفلتين نوأمتين « شى
 تبلغ كل منهما الرابعة من عمرها فألححت عليه أن يتم قصته ، ولكنه أعرض عني ،
 وأسرع يستقبل السيدة وطفلتينها وقال « تعالى يا جوليا ! ههه أدت الطفلتان
 الصلاة ؟ » ثم التفت إلى وقال « ألا تعرف زوجتي ؟ جوليا ! هذا صديق قديم
 وتصاحفنا وهاه جوليا « ما أظننا تقابلنا قبل اليوم »
 فأجبت « ولكن أعرف عنك كل
 « شى »
 فسات زوجها ضاحكة « ماذا كنت
 تقص عليه ؟ »
 — لا شى يا حبيبتى
 ثم التفت إلى الطفلتين وقال « هيا بنا
 نطعم الخفافيش »
 فمات جوليا « كم يحب برسى
 الخفافيش ! »
 « قلت « لا عجب »
 أحمد حلمى

ابتداء من العدد القادم

تقرأ فى كل عدد قصة من أروع
 القصص البوليسية الحديثة

حريق القرية

للاستاذ السيد حسن قرون

ولكنه لم يفعل ، فقلت في نفسي : الشيخ
خواجة ليس من قصصه ، وأن له أن
يسخر ، وعلى حين غفلة علا صوت استغاثة
وصراخ في ناحية من نواحي القرية ، غيب
الناس مذمورين متجهين نحو الصوت ،
وعملت بالقيام لأرى ما حدث ولكنه
نشب لي دلال في سحرة : الأمر لا يبدو
أن يكون لونه (مهني) قد أناه الصرخ ،
وسياتيت بالأخبار من لم تروه ، وسكت
قليلا ، ثم رجع بعض الذين خفوا لإثارة
الاستغراب ، سمعهم يتندرون ويضحكون ،
لأن مهني حازه عفريته ، فلبس سمع حديثهم
صاح : « انه يقصر أجله ، ربما يرجعنا منه
مصدية والله على البلاد هذا الولد » فقلت له :
ما هذا شيخ خواجة ، ألدعو على الناس
بالوب ؟

وانصرف إلى نظرة طويلة فبينما على سوء
القبالة خذت ، وأردت أن أداعبه ، فقلت :
كأن بينك وبين مهني عداوة ، وكأنني بهذا
السكرم است منه جانباً موجعا ، فصاح

كانت الندوة عامرة بأصحاب الآراء
الحرة ، وكان الجدال شديداً حول تحديد
النسل ، وضيق وادي النيل عن تهمة العيش
الكريم لسكانه حين قص علينا أحد
الأصدقاء هذه القصة التي أقسم أنها وقعت
في إحدى قرى الصعيد ، ولا يزال كثيرون
جدا من الفلاحين يذكرونها ولا يلبسونها :
فعرابها ولما تركت في النفوس من أثر
المر . قال :

كنت فيما مضى أحب القرية حباً يحدني
في الرحيل إليها من حين إلى حين ، وكنت
أحب بحالة الشيوخ ولا سيما الشيخ
خواجة الذي عرفت فيه الطيبة والعكاشة ،
وكان يطرفني بتقصص مضحكة ، وكنت
أصغي إليه بسماء ، وإن كانت قصصه
كلها تدور حول الفنى والفقر ، والشجاعة
والسكرم إلا أنني كنت أجد فيها ما يروقني
ويشوقني .

وذات ليلة جلست معه ، وانتظرت منه
حديثاً أو قصة أو خبراً من أخبار القرية ،

وانطلق يروي قصة العداوة بكل ما يملك من أدوات البيان ، يتحدث بلسانه وعينه ويديه ، ويهز رأسه ، ويقف أحيانا ، ويجلي أعطيه سمى ونظري وقلبي أيضا ، وابتدأ حديثه هكذا :

عداوتي معه من قبل أن تلده أمه : لا تعترض : نعم عداوتي معه من قبل أن يرى الدنيا ، فقد كان مولده تدير شر لي ولأهلي ، وفقدت روني وشقيقي في سبيله . لقد كانت أمه شيطانة خربت الديار ، ويتمت الأطفال ، وروعت الناس من أجل سواد عييه .

لقد شهدت ليلة : واج أبيه بأمه ، كانت ليلة عظيمة ، وكان أبوه - الله رحمه - رجلا صالحا كريما شجاعا اتخذه شيخا لحصنا ، وكانت زوجته الشثومة فتاة سمراء جميلة ، ويقول أهلها إنها مؤدبة ! وتدير أحسن بيت ، وكان شيخ البلد فرحا بها يتحدث عنها أمنا ولا يرى في ذلك عيبا ، وكنا بحامله فلا نقاطعه ، ونحن يمضي نقول عنه إنه عظيم في كل شيء إلا ذكر امرأته .

ولكن هذه السمراء المحبوبة لم يرزقها الله ولدا يسر شيخ البلد ، وشمرت المرأة بخرج مركزها وشمرت بمعاذاة الأيام لها ، وأحست برعزة حياتها عند الشيخ ، وكما كرت الأيام ازدادت أرقا وقلقا ، حتى نحل

جسمها ، وغاص ماء الجلال من وجهها ، وملت العمل في بيتها وكهرت الدنيا . كانت في أول أمرها محجوبة لا يراها إنسان ، ولكنها على مر الأيام أصبحت لا تحفل بالناس ، وراها في شجار مع النساء . وكان يبنظها ويهيجها أن تسمع من آرائها الدعاء لها بالولد الصالح ، والذرية النافعة ، وتظن - وبعض الظن إنهم - أنهم بعض بها ، ويحكن منها ، وتمنت لو أن الله باعد بينها وبينهم ، وحفظها من مكرهم ، ولكن من أين لها هذا والبيت مزدحم بقريبات زوجها وقرباتها ، فكانت في معارك - امية معهم - حتى جمعت البيت جحبا ، والشيخ راض بما قسم الله له .

والرجل في القرية كما تعلم لا يهجم من الزواج إلا « الخلقة » ، وقبل أن تمضي شهر على زواجه يفكر في الوارث ولا يرى المرأة إلا معملا للتفريح ، فإن خابها الحظ ، ولم تنجب طلة لها غير آسف ولا نادم ، أو زوج أخرى لهذا الغرض . وأخذ أصدقاؤه شيخ البلد يترؤنه بالبناء على غيرها ، والرجل يتمنع آملا في الولد منها .

وتسمع أم مهني همسا يدور حولها ، فتعثر بها لأوهام ، ونصف بها الأحزان ، وتبكي البلبا ونهارها ، وكثيرا ما تخلو إلى نفسها فتتحدث معها حديثا فيه من النحيب

وأخرج علبه الدخان ، وصنع دخينة أشعلها
والتقى عود الثقاب على الأرض قائلا والدخان
يتصاعد مع الهواء في تراقص : «أى طيب ؟
صدقنى أنى لا أحب الأطباء ، ولا الطب ولو
جلب الشفاء ، وعلى فكرة لم يكن الطب
معروفا على عهدنا ، ولو كان معروفا لنجوت
أنا من النجس ومن مصائب أم مهى ، لقد
كان طبيبها جبارا هبط من السماء فجأة
لشفيها ، ويثلينا»

فقلت كما يقول كتاب كلبيلة ودمنة
وكيف كان ذلك ؟ ولم يقل زعموا ، ولو
عرفها ما قلنا ، لأنه يحكى قصة شاهدها
وذاق مرارعا ، ولا تزال آثارها الوخيمة
تلاحقه وتضنيه . ولكنه قال وهو يلث
من شدة النبط

«لأأدرى كيف ظهر هذا الرجل ، إنه
ساحر من بلاد الدكورو بسميه الشيخ
الدكورى ، أعرفه من بعيد ، أعرفه
شيطانا يئلب الشياطين ، يستخدمهم ،
ويوحى إليهم ، وفوق ذلك فهو ساحر قدير ،
ما أن سمعت به أم مهى حتى ركبها ألف
عقريت ، وانطلقت إليه نشوى كأنه
سيعطيها الولد بمجرد السلام عليه .. مسكينة
تستحق الرثاء ، وإن كنت أبتغضها من
قلبي ، وأعاقبها إلى يوم الدين . ماذا تصنع ؟
لقد عرفت عنه أنه يشقى المرضى ، ويطردهم

أكثر مما فيه من التعبير ، ولولا فرحة
الشامتين لأعلنت زوجها بحقه في الزواج
عليها ، ولكنها ترتد بحفلة عند هذا الحاطر
الأسود .

وأخيرا لجأت إلى ما تلجأ إليه نساء
القرية ، فزارت قبور الصالحين تخطبها سبع
مرات من جهة إلى أخرى ونذهب إلى جبل
اشتهر بالكرامة لتتدحرج عليه ، وتعالجها
الداية علاجا عتيقا ، وتضرب الرمل ، وتقرأ
الكف ، وتقيم حفلات الزار ، وتعالى من
كل هذا ألا مبرح ، وتعبا مضنيا ، وأمراضا
كثارا ولا تفيد من وراء ذلك شيئا ،
وضاقت عليها الأرض بما رحبت ، وغمت
الموت لترتاح من الأشجان والأسقام ،
ورانت عليها كآبة لا تستطيع دفعها ولو
تكلفت ؟ فلا تراها تنسم لأحد ، ولا تهش
لشيء . وكانت بجوارها امرأة — هى
أمها — لم تعرف دواءها ، وإن عرفت
دأها ، وكم لفهما الليل بردائه الغدافي ،
وباتتا نعدان المنجوم ، وترقبان الصبح ،
والدموع تسيل من عيونهما منبهة . ولكن
الإنسان لا يئأس ما دام يحس بالأمل ،
ويشعر بالحياة ، وانتظرت الفرج ...

فقلت : أذهبت إلى الطيب ؟ فزم
الشيخ خواجة شفتيه ، ثم أرخاها وقد
تنفس الصعداء واضطجع إلى الوراء ،

الجن الخبيث ، ويصلح بين الرء و زوجته ،
وهو يستطيع - لقدرته - أن يكتب كلمة
على اليد اليسرى فيعلمها الإنسان فيراها على اليد
اليمنى ، وله فى علاج العقيم شهرة واسعة .
لقد أشرفت الدنيا فى حياتها على حين غفلة ،
وخيل إليها أن كلمة منه تترك فى أحشائها
حينئذ يبعد إليها قلب زوجها قبل أن
يتحول ، ويبعد إليها جمالها وشبابها ،
وسينهب عنها الرض إلى غير رجعة ،
وفكرت فى الولد المأمول ، فأنجابت عنها
سحب الماضى ؛ وبدأ لها نجلها يسمى بين
يديها وينخرج صباحا إلى مكتب القرية ،
وبعد الظهر يسوق البقر والجاسوس إلى
خوض الماء ، ويذهب مع أبيه إلى الحقل ،
ويقدم إليها بده السكرينة با كورة التمح ،
ولها أن تنهى تراثها بكل ذلك

لا حول ولا قوة إلا بالله ما رأيت
علاجاً مثله فى حياتى ، ولا سمع غيرى بذلك
العلاج المدمر ، مصيبة والله . العلاج
يا سيدى : إحراق القرية وقت صلاة الجمعة
فى النصف الأول من الشهر العربى . ومن
ذلك اليوم أخذت أم مهى تعمل على تنفيذ
العلاج ، وتعد العدة وتسكن ممرحها ،
ودبرت الخطة ، وأقدمت على فعلتها من غير
وانزع من ضمير ، ولا زاجر من دين

وانضطرب جسم الشيخ خواجه عند
ذلك ، وجعلت عيناه ، وتقلعت شفقاته ،
وأشار يديه كليهما ، وصاح فى عصبية :
« اللهم لها ! لقد اختارت يوما عاصفا ، وقد
كان المصيف غائطا يصهر الرؤوس ، وقد
أقبل الدس رافقت إلى المساجد حتى إذا
خلت الدور من الرجال وسكنت الطرق من
الحركة خرجت الجريمة تسعى ، وكان منزله
شمال القرية ، ومنزلها خارجها وأشعلت النار
فيه وولت هاربة

ارتفعت النار مرة واحدة ، وامتد

جالت كل هذه الحواطر فى نفس تلك
المرأة الشؤومة ، فالتفتت من مكانها فتاة
مسنية قوية ، باصرة فتية ، ودفعت الباب
بقوة ، وهروا إلى أمها فى بلسامة الزهرة
الأرجة تهمس فى أذنها أنه قد حضر الشيخ
الذكورى ، وارتعشت بد المعجوز وهى
تتمها على فيها المفتوح ، وصاحت : أحقا
حضر ؟ لقد سمعت لك الدنيا يابتنى ، وأن
لما أن تستريح ، اكتمى أمرك عن جميع
الناس حتى زوجك وتم الانصال بين

دائرة حمراء، وأنجلت الكارثة بعد أيام عصيبة
عن خسائر في الأرواح والأموال، وخرجت
أنا معها سفير اليدين لا أملك رجلا ولا فرعا،
وفقدت شقيقي وبمض ألقائي .

أقربيد مني أن أحضر على هذا المنعوت
المشتوم ؟ الله رحمتا عنه ! فقلت : أحمل به
بعد هذه الحادثة ؟ فأجابني وهو يضع
الألفاظ مضغا عنيقا : نعم وليها ماتت في
حملها به !

قال ذلك الصديق : وتركته وأويت إلى
فراشي ، فوقعت في ديمومة من الأحلام
الزعجة ما ألقاني منها إلا سياح الدبكة
وسوت المؤذن .

السيد صي فروع

الصراخ إلى أذني عنيقا نحيفا وأنا في الركعة
الأخيرة ودارت بي الأرض الفضاء .
وانفلت من صلاتي، فرأيت وياشر مارأيت..
لقد صار منزلي شعلة من نار ، وهبت
النيران على المنازل المجاورة تؤزها أزا ،
واكتست النخيل ثيابا قانية، ولعبت الريح
العاتية لعبتها ، فتطاير الشرر ، واختلط
صوت الرجال بموسل النساء وصراخ
الأطفال ، ففقدت وعي ، فرأيت الناس
أسيحا تذهب ونحى في أيديهم الجرار
وأوعية الماء ، والماء لا يكفي ، ولم تكن
نعرف رجال الحريق

وتنقلت النار من الشمال إلى الجنوب

في سعار ونهم ، وخلعت في وسط القرية

أعلام النص الروبنة

تولتسوى

فه من القوم الشوامج في أدب هذه الدنيا قدته وحديثه

السيد ساذ محمود الحبيب

كتاب في نيف وأربع مائة صفحة من القطع الكبير محلي بالصورة

أوفى دراسة في العربية لحياة هذا الفنان العظيم

ثمنه ٤٠ قرشا عدا أجرة البريد

الحامّة الثالِثَة

للأب الفمري سيفان قرطاج
بقلم الأديب حسن فتحي خليل

تركت الحامّة السفين في الفجر وعادت في
الغروب تحمل في منقارها غصن الزيتون ؛
فأدرك نوح أن الماء لم ينحسر إلا عن قمم
الأشجار فحسب

وبعد سبعة أيام آخر أرسل حمامته
الثالثة فطاررت نجوس خلال الدنيا ، غادرت
السفين جُرا وانتظر عودتها في الغروب ثم
في اليوم التالي واليوم الذي يليه ، ولكنها لم
تعد ، فأدرك نوح أن السلام قد عم الأرض
وأن الماء قد انحسر عن وجهها تماما ، وأما
الحامّة نفسها فلم يعد يسمع لطيراتها خفيفا
ولم يهرب أحد قصصها حتى هذه الأيام

ولكنني أسوق الآن — في هذه
الحكمة التالية — رحلة تلك الحامّة وما
كتبته في لوح القدر

حين بسطت جناحيها في الهواء الذي
عدا هادئا عطرا بعد هطول الأمطار شعرت
بالخروج في ذلك الفضاء المتسع حولها ،
فطاربت معلقة في الأجواء ، مارة باليابسة

تحدث الكتب المقدسة عن قصة
احمامتين اللتين أرسلهما نوح من الفلك
لكشف الأرض ، بعد أن أفلتت السماء
، عطي الماء كل اليابسة

ولكن هل يدري أحدنا الرحلة
التي قامت بها الحامّة الثالثة ؟

كانت سفينة النجاة قد أتمت مراسيمها ،
على الحدود ووقف نوح يسرح الطرف فيما حوله
فلم يمانه سوى الماء . فاضطر إلى أن يرسل حمامته
الأولى فتبعث عن اليابسة خلف ذلك
الغصن السكّيف

خلقت احمامة ، وشرفت جناحيها
حول الشرق ثم الغرب ، ولما نال منها
الغضب عادت إلى السفين لتخبر سيدها أن
الماء مازال يفيض على جميع جوانب
الأرض

انتظر نوح سبعة أيام كان المطر قد انقطع
حالاتها وأعاد الاستطلاع فأرسل حمامته
الثانية

لأى شخص قنصها

دارت الأيام دورتها وشمرت حمامتنا
بإقتراب الإنسان منها ، فهاهى ذى الأشجار
وقد قطعها الرجال فأمتت والظلام ينتشر
حولها من كل جانب . وهى هى ذى
ضحكات العاسقين الرقيقة وعم يرون بقربها
وقد انتشكت أذرعهم . وأنا سيد الصبية
وعم يحمسون الزهور تطرق سمها من بعيد .
كانت تصل إليها تلك الأصوات النبعثة من
عالمنا وهى كأمينة فى مخبئها ، ومع ذلك لم
تطرق الخوف أو الفزع إلى قلبها

ولكن جاء ذلك اليوم الذى أنت فيه
الغاية آتيا مؤدا ، وقصفت الرعد وكأن
الأرض ستشطر شطرين : ورأت الكتل
المعدنية الكبيرة تتطاير أجزائها مع الريح
حتى إذا دعوت إلى الأرض انفجرت فى
دوى مروع فتحطمت الأشجار . ولاحظت
هؤلاء الرجال تلابسهم الرحمة المختلفة
الألوان وكل منهم يرصد الموت للآخر
بآلاتهم الخفيفة التى تشعل النيران وتجلب
الدمار . قيلع البرق فى السماء ثم يعقبه
انفجار شال مفرع فى الأرض

استيقظت الحمامة من سباتها . كان
الموت والقتل يحدقان بها فشرت جناحها
وطارت فى الهواء فرعة وجلة خائفة تبحث
عن مأوى جديد بعيد عن تلك الغابة

والماء ، منتشية بالسعادة وكأنها فى حلم
بهيج . ثم رأت الأرض وكأنها خلقت من
جديد ، فلسيت السفين والمهمة التى طارت
من أحلبها ولم تفكر فى العودة لأن الأرض
أصبحت الآن فرسها والسماء عرشها

جعلت تخلق فوق ذلك العالم الحرب ،
وتقدم وهى لا تشمر بنفسها من فرط سرورها ،
حتى إذا ما أحست أخيرا بانتمب جذبها
الأرض نحوها شيئا فشيئا . وما أن أقبل
السماء حتى كانت فى أعماق غابة لا تعرف لها
اسماء واختفت بين عصون أشجارها تستريح
من عناء الحجرة الطويلة ، تحرسها الأوراق
كما حدها السيم المهادى ، وظللها
الأشجار بظلالها الوارفة ، وتلاشى كل ما
تذكره عن السماء السابعة ورحلتها الطويلة
الساحرة . ولم تعد تشمر بمرور الزمن بعد
أن التحفت تلك القبة الخضراء

كانت الغابة التى اختارها مأوى لها
ركنا من أركان الدنيا الذى تعيش فيه ، ولم
يكن أحد من البشر قد طرقها بعد أو جاس
فى مخبئها ، فعاشت فى وحدتها تلك وكأنها
تسبح جالما للدينا . وبنت عشها ، ونالت
الأغواء عليها ، حتى أن الموت نفسه لم يكن
يذكر عنها شيئا . إذ أن تلك المخلوقات
الغريبة المنسوجة التى رأت العالم قبل
الطوفان لا يمكن أن يفزعها الموت ولا يتسنى

الأمين . . تبعت عن مأوى السلام

حامت حول العالم ، ولكنها أتت
ذهبت لا تجد سوى رمود تلك الحروب
البشرية المتوالية وبروقها ؛ لقد عاد الطوفان .
ولكنه ليس طوفان الماء إنما هو طوفان
الاهب والدما .

جملت أخبار حول أجزاء السيطرة عليها
تجد مكانا تسرع فيه وتستجم ثم تعود
بعدشا إلى نوح حاملة غصن الزيتون
تفتارها ، ولكنها لم تهبط ذلك المكان
المقصود ، فطوفان الحراب الآدمي يعلو
رويدا رويدا . . تلك الجثث الممزقة المحترقة
تطير أشلاؤها في كل مكان

ولاتزال الحماة المسكينة تبحث عما تصبو
إليه فلا تستطيع : فالسلام والوثام لم يمد لهما
مكان يبتغا في عالم هذا ، وستظل طائفة
معلقة لن تجد لها مأوى حتى يتم الزمان
دورته

كما أنه لم يكن لأحد منذ بدء الخليقة

حتى الآن رؤية تلك الحماة المفقودة ، الباحثة
عن السلام ، والتي تتحدث عنها القصص
الدينية ، ولكنها ترفرف بمخاضها فوق
رؤوسنا ، غاضبة مزعجرة وقد أضناها
النصب . فإذا ما استيقظ الناس في جوف
الليل فنالبا ما يسمعون ذلك الحفيف الغريب
ثم صوت اندفاع سريع في الظلام ومهممة
مخنوق قلق يكاد يشرف على الجنون فيسكون
الليل . . وأخيرا يسمعون صوت الخناجين
يخفقان ويتبع الخفقان طيران مفاجئ

إن خسوا طرنا الخلفة نحوم حول
أجنحتها ، وآمالنا تدوى في مخاوفها . . تلك
التي ترتجف بين الأرض والسماء ، تلك
الحماة المائرة التي ستحمل أخبارها بقدا إلى
اللا الأعلى

وهما هو ذا العدم البوم ، وبعد أن انصرفت
تلك الآلاف من الأعوام مازال يخطر من يمد
يده إليها فتسبى بذلك تلك الحنة

من فنى قبل

اقرأ الرواية في أول كل شهر وفي منتصفه ،

والرسالة في صباح كل أحد من كل أسبوع

مثل اشتراك الرواية في السنة ١٢٠ قرش وبديل اشتراك

الرسالة ١٠٠ قرش وبديل اشتراكها معا ١٨٠ قرشا

سيرة

للقصصيّ الرّبيعي مرنادبا أناسكير

بقلم الأستاذ محمد مؤد الجفيف

الابتدائية ست وليدة جهدة ، فقد أحسست فيها شيئاً من الصدق ؛ وكانت روحه رقيقة هزيلة وبنت العيني لأول وعلة ذات حسن . وإن الصورة التي مدت بها يدها ، مترددة أو تكاد تتردد ، حين قدمي إليها زوجها ، ثم استردادها نظرتها إلى في سرعة ، قد أوجت إلى أنها ذات دعة وحباء .

وكان الثاني بياداسا مرة ثانية حين غيرت مسكني فوجدتني جاره اللامق ؛ وكان لا يفصل بين الحديقتين إلا سياج من الأعصان الكثيفة المزهرة ، ولم يمض زمن طويل منذ مقدي إلى منزلي الجديد ، حتى اعتدلت أن أقضي العشيات معه . وكان بياداسا طيب القلب ، ولكنه كان فيما يبدو لا يحب البرج والمجون . ولست في الواقع حتى اليوم أعرف ما يحب وما لا يحب ، وكان من عادته أن يظل يقرأ الصحف منذ عودته من عمله حتى ساعة الطفل

عرفت (بياداسا) منذ زمن طويل . لقد كنا نذهب إلى مدرسة واحدة ، ولكنني أذكر أنه كان في قرية أعلى ؛ وكان يومئذ يقطن مع عمته ، وكانت عمته جارتنا . وما زلت حتى اليوم أذكر تلك الشجرة العظيمة الممتدة الأغصان ، شجرة النمر الهندى التي كانت تقوم وسط الفناء قوية فينانة ؛ ولقد كنت في الأمسيات ألعب مع لداني تحت هاتيك الشجرة ، وكان بياداسا أحد هؤلاء .

ولقد علمت منذ سنوات أربع أو نحو ذلك ، أن بياداسا أصبح زوجاً ؛ ثم إنى لقينته وزوجته في دكان مدينة كولومبو . ولقد ظلت على وجهه تلك النظرة الساحبة الفاترة التي كانت تتراءى عليه وهو طفل ؛ ولقد أحسست أنها اليوم أكثر ظهوراً ؛ وإن النظرة إلى وجهه لا تنبئ أنه من أولئك الذين صاروا أزواجاً وآباء . ولما لقينى كانت انقسامته لى في جهدة ؛ ومع أن تلك

وأنه وإن لم يكن يحس ميلا إلى الزواج ؛
قد استجاب إلى إغراء والديه فتزوج سوما .
وكانت سوما من أسرة ميسورة الحال من
إقليم الدلال . ولقد أتبع لها قدر كبير من
التربية والثقافة . ولقد أنجبت سوما غلاما
بعد زواجها ، ولكنه مات بفترة وهو في
الثالثة من عمره .

وبعد أن أصبحت لحظة إلى هذا الحديث
عجبت ماذا جعل بياداسا يبحث عن عمل
مثل هذا ؟ ثانيا تابعا للحكومة ؛ ولو أنه كان لي
مثل ماله من نراء ، مارضيت أن أخدم تحت
إمرة سيد ؛ وإني أشعر الآن أن عدم قدرته
على أن يظهر شخصيته في أية صورة أخرى
هو الذي جعله يبحث عن مثل هذه الوظيفة
وحل الفصل الذي أزهزت فيه
الأشجار كل الإزهار ؛ ووردادت الأملسي
بهجة ، وبانت الشجيرات في حديقتهم وفي
حديقتي محملة بالأزهار ؛ وأحسست يومئذ
أني لبي صحبة سوما في ترهاتها أكثر
ميلا مني إلى استماع صوت بياداسا ؛
وأحسست كذلك أن سوما تحب أن تقضي
الأملسي معي .

وكنت بدأت أشعر منذ وقت طويل
أنها لم تكن حسناء بحسب ، وإنما كان حولها
نوع من السحر خاص بها . إنك لو شخصتها
جئة فلا أظن أنك واحد فيها شيئا فائق

ولقد كنت أعجب ماذا عسى أن يكون
في جريدة من مثل هذا الإمتاع ! ومهما
يكن في الأمسيات من جمال وإغراء ، فليست
أذكر أمسية خرج فيها من داره . ولقد كنت
أدعوه في مثل هانيك الأملسي إلى قليل من
المشي ، ولكنه كان يرغب أبدا عن ذلك
ولما توثقت المعرفة بيني وبين بياداسا
وزواجه ، أخذت ألاحظ أن سوما لم تكن
كما ظننت حين رأيتهما أول مرة ذات حياء .
ولقد وجدت من العسير أن أوفق بين
ما أراه منها وبين ما وقع في نفسي من أثر أول
مرة حين رأيتهما .

كانت على خلاف بياداسا قد تعودت
أن تخرج المنزل أكثر الأمسيات . ولقد
علمت بعد أيام فلانل أنها كانت أحيانا ترجع
إلى بيتها متأخرة . ثم إنني رأيتهما مرة أو
مرتين حين كنت أقرأ كتابا إلى جوار
نافذتي عائدة مع بعض صاحبات لها أظهن
من جاراتها . ولقد سمعت كلامهن
وضحكتهن ، وما صادفتني مرة إلا لوحث
لي بيدها مبتسمة بالسامة سادقة .

وبعد ثلاثة أشهر منذ أن تطورت
سداقتنا إلى درجة من الألفة ، قص على
بياداسا كيف قضى حياته منذ أن ترك
المدرسة . وجاء في معرض قصته أنه استأجر
في عمل بكونومبو بمجرد أن غادر المدرسة ،

هو الحق فإنى لا أكاذ أذكر أنى أحببت امرأة . لقد أنجبت نفسى فى المدرسة إلى فتاة كانت معنى فى حجرة الدراسة ، ولكنى أشعر الآن أن ذلك لم يكن مثل ما يكون من حب بين الرجال والنساء .

ولما كنا فى زمن الزهر ، وكانت نحاول الورد فى حديقةهم تنفتح كأنها ، فقد اعتدت كل صباح وأنا إلى جوار نافذتى أنتظر حتى يحين موعد ذهابى إلى عمل ، أن أرى سوما بين نحائل الزهر تقطف تلك الورد . وكانت ترسل إلى كل صباح باقة من الزهر . وكانت إذا وجدنى لا أزال فى نافذتى تسمى إلى بنى من الزهور التى جمعها

وكنت ذات مساء أقرأ كتابا فى حجرى ، ولم يكن بى ميل إلى مبارحة البيت لأنى عدت متأخرا من عملى ؛ وما عى إلا لحظة حتى سمعت شخصا يطرق الباب طرعا خفيفا ، ولما فتحت ألفت سوما وانفة وحدها !

وسألنى قائلة « ألا تخرج الليلة لتمشى قليلا يا بنى ! إنى استسعر الوحيدة اليوم جدا » وأجبتها « لقد كنت اعتزمت البقاء ولكن إذا كنت تريدن فسأنى معك » ثم أغلقت من خلفى باب حجرى ومشينا مسافة قصيرة فى صمت ؛ وكان

الجمال وإن عيشها كانتا من السعة بحيث لا نعدان مناسبتين ، ولكنى وجدت فيهما شيئا شديدا الجاذبية ؛ وكانتا تبدوان كما لو أن الدموع تريد أن تتساقط منهما فى أية لحظة . وإنى لأحس أن النساء حتى أكثرهن حملا يلحن أكثر حسنا حين تفر الدموع أعينهن . ولم يكن أنفها كذلك أشم أو سويا ؛ ولم تكن تفتاعها رقيةتين ولا حرامين كزهرة اللوتس ؛ وكانت أصابعها الدقيقة الأنامل تبدو رقيقة لطيفة ، ولكنها كانت من الدقة بحيث لا يمكن أن تعد حسنة التكوين أو جميلة . وكان حديثها كحديث طفلة بريئة ، وكان يساب طبيعيا لا تكلف فيه حتى لقد كنت أنسى ما يتصرم من الوقت حين كنت أجاذبها أطراف الحديث ؛ ولم تتناول فى حديثها ما يتناول أكثر النسوة عادة من مسائل ، وإنما كان يدور حديثها حول أمور ذات صبغة فلسفية أو أدبية ؛ وكثيرا ما أثر فى نفسى أنها ذات خبرة بأمور لا يهتم بها إلا ذوو العقول الرزينة على أنى أذكر أنها سألتنى ذات مرة عما إذا كنت أحببت امرأة قط ؛ ولقد ربكنى سؤالها لحظة ، وذلك لأنى رأيت أنه مما لا يليق بسيدة صغيرة مثلها أن تسأل سؤالا كهذا ؛ ثم أجبتها فى حالة تكاد تكون عصبية « كلا » ، وإنى أعتقد أن ما ذكرته

ولما اقتربنا من منزلها شممت رائحة
أزهار الحديقة ؛ وحطت سوما إلى الفناء قائلة
« أدخل يا نبال » وراعتني دعوتها إذ
وجدتها غير لائقة ، وأحسنت كما لو كنت
أريد أن أطلق عدوا ولكني لم أجد لدى
القوة لأفعل ، فتمعتها .

وفتت أشعة القمر من خلال الأغصان
فأغرقتني وأغرقت سوما ؛ وكنا وحيدتين في
الشرفة المكشوفة ؛ وكان باب غرفة بياداسا
مغلقا ؛ وجلست سوما صامتة ساكنة
كأنها من الحجر ؛ واستطعت أن أرى
وجيها شعثه نور القمر . وكان ما يرسم من
معان على عيائها عجيبا جنيا يكاد يخيفني ؛
وجلست سامتا على كرسي في طرف الشرفة
ولم أعد أقوى على النظر إلى عينيها . وكان
يتري قلبي بين المفاعلات متصارعة . ثم إن
صعفا . أتيت كنهه قد قضى على ما في
من قوة .

ودافقت في بطن نحو مقعدى ، ورأيتها
وهي تترقب سني كما لو كنت في حلم ، وجلست
على متكأ مقعدى ؛ وكنت أحس تنفسها ؛
واستجذمت كل ما وسمني من بقايا شجاعتي
ونظرت نظرة إلى وجيها ؛ ورأيت عيائها
قد توفد أحمرارا ، وكانت في عينيها نظرة
غريبة واختلجت شفتاها ؛ ودق قلبي دقات
سريرة ؛ ولم أحس من التوازع إلا أن

ذلك قبيل العروب ؛ وكانت تهج غير بعيد من
منزلنا بقعة حضراء أشبه بالحديقة لما كان
ينمو فيها من وحشى الشجر ؛ ورأينا القمر
بارغا يحكب سعاعته الفائرة الفضية على
رؤوس الشجر ؛ وأحدثت نسمة خفيفة
باردة خفيفا بين الأغصان ؛ وأحسنت أن
سوما تقبض يديها على أسابي ، ورأيت
أنه يجب على أن أجذب يدي من يدها ،
ولكني لم أجد لدى من الإرادة
ما يعينني على ذلك . ولقد سرى في بدني
شعور عجيب بالشدة نتيجة لهذه النسمة ،
ومست إلى حجابي دون أن تتكلم ،
واستطعت أن أرى نور القمر الهادئ على
وجيها وعلى ردايها الأبيض . ولقد أضاء
وجيها في نور القمر ، وأبصرت خصلات
من شعرها تتألق وتراقص بفعل السيم . ثم
قطعت الصمت بعد أن مشينا ساعة طويلة
بقولها :

— ألا تعود أدراجنا ؟ فأومأت برأسي
موافقا لإياها

ولما استندنا راجعين كنت أرى
ما يواجهنا من ظلال طويلة ممتدة ، وكان
بالي فارغا ثم تراخ . ولم أكن أسمع إلا
نفسها وحفيف نوبها كلما حطت . ومن
النسيم البارد سفحة وجهي ؛ وازدادت
سوما اقترابا مني ؛ وأحسنت خيفة في
نفسى من لمس جسمها النحيل اللطيف

من زوايا عتلى . إن ما بعته ملس خديها
وبيديها من نشوة في نفسى قد أتاح لى تجربة
لم أدقها من قبل .

وخيل إلى أن وجهها لا يزال يحدق فى
وجهى ، وأن ما ارتسم على عيائها مما
لا يمكن اكتناه سره لا يزال ماثلا فى
عينها . لقد ابتعثنا شكا فى نفسى لا يزال
بلاؤمى : ذلك أنى أخذت أنسأل : هل
تسلك هذا تسللك كذلك مع غيرى ؟ لقد
رأيتها واقفة لدى عتبة الباب نحملق فى غير
معنى . ولم أستطع حتى أن أخيل ماذا كانت
تعبر عنه ملامحها فى تلك اللحظة .

واسدعت فى الصباح على حبيب
خادمى ، ولست أذكر أنها أبقتنى قفا على
مثل هذه الصورة من قبل

« سيدى لقد ماتت السيدة جارتنا ليلة
أمس » .

وأدعنى الخبر فوثبت من سربرى سائلا
فى لهفة « من ؟ »

« جارتنا السيدة يا سيدى »

« ومنى كان ذلك ؟ »

« لست أدرى فى أى وقت : لقد

وجدنا السيد ميتة هذا الصباح »

ولم أسأل أكثر من هذا إذ لم أجد لدى
شجاعة لذلك . لقد يهرنى الخوف والحزن
وانتهيت إلى أنها قتلت نفسها نتيجة للفتا

أنهض فأعدو بعيدا عنها ؛ ولكنى قبل
أن أقبل ذلك أحسست بيديها تشتبكان
خلف عنق . ثم إني أقبلت بوجهها على
حتى دأمت خلسة من شعرها جبهتى
وامتلأت عيناى خنأة بالدمع ، ولم يكن
فى وسعنى أن أدفع ذلك ، ثم إني عطيت
وحنى براحتى .

ولست أدري لماذا جاء مسلكى وقتئذ
على هذه الصورة : ومايسلك أحد غيرى هذا
المسلك فيما أظن . ربما كان مرد ذلك إلى مزيج
من الفرح العظيم والأسف . ولقد يكون مرد
إلى أن ذلك كان أول موقف وقعت لى فيه
تجربة ما مع امرأة ..

لقد ابتعدت فى بلاء عنى ووقفت دون
أن تنطق بكلمة عند مدخل الشرفة ؛ ولبت
مستمرقة فى تفكير عميق ، وقد استندت
إلى الباب واستندت ذقنها براحتها . وظلت
على تلك الحال لحظة ، ثم رأيتها تدخل الحجره
وتجذب الباب من خلفها جذبة قوية .

وعادرت أنا منزلها وآويت مسرعا إلى
منزلى . ولما ذهبت إلى مضجعى أحسست
كأن عتلى قد اختلط . لقد ملأنى مسلكتها
عجبا . وكان أعجب منه مسلكى حيالها ؛
وحين مسكرت فى مسلكى أحسست أن
الحجرة تبهت وحنى ؛ ولكنى لست أنكر
أن ثمة سمورا من القبطه كان يكمن فى زاوية

ليلة أمس ؛ وأظن أن بياداسا رأنا وأنه
سألنا عن ذلك ؛ وكان ذلك ماجملنى أحشى
لقاء زوجها .
وبعد لحظة جئت بياداسا ليراني ؛ وإن
مجرد مرآه قد قدف في نفسي الرعب ؛
وسكرت في أنه سوف يلاحظ عيني تفقدان
بريقهما ووجنتي سبغهما الحمرة ، على أنني
تجرات مخدنة واستفهمته
قال بياداسا إنه حينما ذهب إلى
حجرتها في الصباح وجدها ميتة في سريرها
وإنه ليس يدري سبب موتها . لقد أوت
إلى فراشها متأخرة عن موعدها كل ليلة ؛
ولقد سطرت كتابا أعطته لخدم ليقتى به
في البريد لساعته ، وكان ذلك كل ما استطاع
بياداسا أن يحمله من نبال حول موتها ...
وألقي إلى البريد كتابا في اليوم التالي
ممنوعته فإذا هو من سوما وإذا بها تقول ،
« يجب أن أوضح لك بادي الأمر أني أكتب
هذا بدافع الشفقة عليك ، فإني على يقين
من أنك حين تسمع نبأ موتي سوف تعود بالتبعة
على نفسك . ولكن يجب ألا تعتقد ذلك
فلقد قتلت نفسي لأنني لم أعد أجدي الحياة
فائدة . وإنك لو عشت ماضى فلست توافقني
على ما فعلت
قد تكون عشت أني كنت امرأة فاضلة ؛
لقد تزوجت منذ سنوات ست ، وإنني أشعر

أن الواجب يقتضي أن آيين لك مبلغ
ما اتفق زوجي من فضل كرجل ، وإنه
ليصعب أن يوجد زوج له مثل صبره
ورأفته . ولكنني أشك في أنه أحبني .
كذلك أرتاب في أن من لهم مثل
طبيعته من الرجال يقدرون على أن يدركوا
حقيقة ما يكون في قلب المرأة من مشاعر
وأظنك كذلك أدركت هذا مما عرفت من
سلوكه . وعلى الرغم من ذلك عشنا في وثام ؛
ولكنني لن أغفل ذكر أمر واحد ؛ ذلك أنني
إذا تدبرت في ماضى لا أستطيع أن أقول
إني عشت عيشة سعيدة . إنني أدرك أني لم
أحرم قط شيئا ؛ ومع ذلك فإني لم أدق
ما كنت أنتظره من الحياة الزوجية من
سعادة كاملة . وبعد أن انقضى عام ولد لنا
غلام أحبته بكل ما في نفسي ؛ وشعرت
أن هذا الحب قد عوض ما كنت أحس
في عمق أنه فاني من حيائي . لقد كان
الطفل محور حياتي وبه شعرت بنا للحياة
من معنى ومن حقيقة ؛ ولكنه مات بعد
ذلك ثلاثة أعوام . وكان قتله مما لا
يستطاع حمله . وليت شعري هل أحس
بياداسا مثل ما أحست لفقده ؟ لقد بكيت
مصاني بضعة أشهر ؛ وإن ما أمدني به طفلي
من معنى لحياتي ومن حقيقة لها قد ذهب
بدهابه ؛ وبات عقلي مشردا كما لو أنه انزع

ردك غير المنتظر قد أحدث في عقلي تغيراً
 تاماً . إن مسلكك حيالاً قد بين لي مبلغ
 خطائي . وبنى لأبين ذلك الآن فقط ، وما
 أظن إلا أن كنت عمياء طيلة هاتيك الأيام
 إلى سمر كالألو كنت أعترف بذلك
 كله لبياداسا ، وكألو كنت أفتح صحيفة
 جديدة في حياتي ؛ ولكن كيف أنظر منه
 أن يغيبني وهو الذي لا يدري شيئاً حول
 هذه الأسرار لا حتى لو أنه غفر لي خطيئتي
 أناني رزاح إلى هذا لا ولكن كان
 مستمداً أن يتقبلني الآن بجميع أوزاري ،
 فلقد كان يجب عليه أن يتهمني حين كنت
 خائنة له . ألا ترى ذلك معي ؟ ولئن قدر
 أن يسمر الآن بالشفقة علي ، فلقد كان عليه
 أن يمتص علي الأقل من مسلكي حينذاك
 وإذا كان بحيث لم يهتز قلبه وقتئذ ، أراه
 يتحرك الآن ؟ إن الموت يبدو لي الحل
 الوحيد . المخرج الوحيد مما أنا فيه
 وإلى أمل الآن أن تكون قد
 اقتنعت بذلك برى »

محمود الخفيف

مما يسكه إلى مرفأه ؛ وازداد في نفسي
 ما كنت أشعر به من خيبة قبل مولد الطفل .
 وأحسنت كذلك أن أفقد في مرعة
 إحساسي بالخوف والعار وذلك بسبب هذا
 الحزن الذي يغتصالي ؛ وبدلاً من أن شعور
 القداسة نحو الحياة ونحو الزواج قد ذهب
 بدداً

وأخذ يتقاذفني الشيار ، وأخذت أبحث
 عن اللذة أينما وجدت بها . ولم تعد تضيقني
 أفكار ولائي نحو بياداسا ، وإلى أذكر ذلك
 الآن فقط في غضب وفي شعور بالعار .
 صارت الشهوة عماد حياتي ؛ وإذا ذاك لقبتيك
 وعرفتك

ولست أظن أن بياداسا قد فطن إلى
 شيء مما طرأ من هذه التغيرات على حياتي ؛
 إنه لم يفرق بين ما كنت أظهره له وأما زوجة
 أمينة وبين ما كان مني حين أصبحت له
 خائنة . ولو أنه فطن إلى ذلك ، أجل لو أنه
 فطن إلى حقيقة أمرى لأمكن تجنب
 هذه الخائنة ... هذه المأساة !

لقد اتخذتك مدافعاً لي بدافع الرغبة
 أن أحقق معك ما شرع إليهِ نفسي ، ولكن

بنت الصغيرة

للقصيدة لفرقة ماى بنافذ

التي اعتادت مناظر القسوة
وأحيرا أحبت وهي تسبح دموعها
بيديها وتلمح وجوههم خائفة « يا سي
الفریدی شلندر وشمی ست سنوات »
وتد لها مدير المحقر مندبلا خلقا وهو
يسألها « ومن أبوالث يا صغيرتي العزيرة ؟ »
وتقول الصغيرة « لست أدري ... حقا
لست أدري »

وساح بها قائلا « بنت كبيرة مثلك
لا نعرف من أبواها ؟ ... هذا كلام فارغ »
وتهر البنية كتفها يائسة ، وينظر
إليها المدير يائسا كذلك ؛ ثم تملى عليه تجاربه
أن ليس أفضل لها من أن تنام
ويسط رجال البوليس بأيديهم الغليظة
القيحة فراشا للصغيرة الباكية فترعى عليه
ولا تزال تجش حتى يلفها النوم
وفي الصباح الباكر يقبل على فراش
الصغيرة مدير البوليس الذي وخط الشب
رأسه وقد عول على المفاجأة وسيلة إلى
غرضه ، وينظر إلى الصغيرة إذ تفتح عينيها

كانت القارة ملأى بصفوف الجند عتد
في ملولها وعرضها كأنها ترحب إلى غير نهاية
وكانت تنجلي قسوة العصر وآثامه في تلك
الخطوط البشرية التي تدفع ذات اليمين وذات
الשמال كأنها سلع مأمية ، وكان ذلك الإعصار
الدامي يمزق في أوروبا عرى كان يظن ألا
انفصام لها

« أمه ! » بهذا النداء كان يرتفع صوت
الصغيرة الضالة يذهب بددا في كآبة الليل
وظلمته ...

وبينا كان أحد رجال الشرطة يجرح رجله
جرا إلى داره مثل البدن والنفس بالنصب
والهم ، إذ وقت عيناه فجأة على بنية تبكي
في زاوية الطريق ؛ ولم تجد حيلة في حملها
على الكلام ، ولم ينفعه شيئا ما أبداه نحوها
من تلطف وعطف

وحار من أحاطوا في المحقر بتلك الصغيرة
ماذا يفعلون كي تسكنهم ، وهي تنظر إليهم
فرقة تجش إجهاشات تهترلها حتى قلوبهم

يصيح « إني ! ها أنت ذى بين يدي » ثم يضمها إلى صدره ، ويتجلد رجال البوليس كيما يحفظوا على ما يلينى لهم من ثبات وقوة ، ثم يقول المدير « هكذا نصر هذه البنت العنيدة على زعمها أنها لا تعرف أبويها » ويقول ذلك الرجل الذى يهددها بيديه « حقاً إنها لا تعرفها ولا تدرى أين هما ، بل إنها لم تكن تعرف مآساتها هي حتى أمس فحسب »

كان فراتز شنيدر قد عاد من الميدان في إجازة قصيرة سنة ١٩٤٤ ، وكانت قد ولدت له طفلة ولم يستمتع بطفلته إلا ساعتين ثم دُعا داعى المرحب فعاد إلى القتال وعادت المرافقة ، فكم فصمت من عرى وثيقة ، وكم شئت من شغل جميع ! وأمر فراتز شنيدر ثم أطلق سراحه بعد عام ، أخذ الرجل يبحث عن زوجته وابنته ، فلم يدع سبيلاً إلا سلكها ، ولا مكتبة للاستعلامات إلا طرقة ، حتى كادت قدماء . وكان يقرأ في لفحة ما يعلن في الصحف من أسماء الشردين ، ويستمع إلى الإذاعة وقلبه ثاب في صدره ، ولكنه لم يرجع من ذلك بطائر وأحاط به اليأس ، وكره الحياة ثم واثقه السعادة فجأة ذات يوم في صورة طفلة تدعى إلغريدى شنيدر ، وجدت ضالّة في إحدى محطات سكك الحديد ، وكان حول عنقها قلادة تحمل اسمها . وراح الرجل

وتطرف ، قائلاً وقد تكلف من الصرامة والعبوس ما أشعره أمها أكثر من طبيعته « أنت إلغريدى شنيدر فتولى ابن نكبين ؟ »

ونحيب الطفلة في غير تردد « رقم ٢٦ شارع مويهلجاس » ثم تنظر حولها حائرة ، لم تدرك بعد أين هي ، وقال مدير البوليس وهو يفرك يديه في ارتياح « حسن ! ها أنت ذى تعرفين ، فهل يقطن أبوانك أيضاً هناك ؟ » وأجابت الطفلة وقد أفاق « أوه ... لا ، من فضلك ، لا يقيم هناك أبواي ، ولست أعرف أين هما وماذا حدث لهما ... إنه وحده يقطن هناك ... فراتز شنيدر وحده » وسألها الرجل متعجباً « أليس هو أباك ؟ » وهلت الطفلة « نعم ... لا ... إنه ليس أبى » ثم عادت الدموع تسكب من عينيها ، وقد احتشقت بالبكاء ، أفاضها فكان لها ثيرة حزن لن يصفها كلام

، عرض رجل البوليس الذى وجدها بالأمس أن يذهب بها إلى ذلك المسكن ، فأجابته رئيسه بقوله : « إن الساعة لم تتجاوز الساعة بعد . وها هو ذا فراتز فيها أظن قدما يبحث عنها فإني أسمع تساؤلاً »

وفتح الباب ودخل الحجرة رجل في وجهه لفحة شديدة ، ولكن ما تكاد تقع عيناه على الطفلة حتى تنفرج أساريره . وتجرى الصغيرة فتعلق به باكية ، وهو

الباب ، ففتحت إلى فإذا بها حبال سيدة لا تعرفها وكانت معها بنت صغيرة . وسألت السيدة : « أقيم هنا السيد فرائز سيد ؟ » : ولما أومأت إلى بالإيجاب ، دخلت السيدة ، ومشت إلى حجرة الطعام فدفقت البواب ، ودخلت ، وترك الباب مفتوحا فاستطاعت إلى أن ترى ما كان بينها وبين أبيها .

وسأحت السيدة قائلة « فرائز ! » وأثقت بنفسها على صدره بالكفة ، بينما كان ينهض الرجل وقد شملته دهشة عظيمة : وسأح زوجها قائلا « ما ترى ؟ أشكر الله ! ها أنت ذى حية » ثم نادى الرجل قائلا « إلى » وكان هذا النداء موجها إلى إلى الواقفة خارج الحجرة ، ولكنها لم تتحرك ، كأنها ساحت في الأرض قدماها ، لم تستطع إلى أن تقدم حياء رأيت البنت الصغيرة الغريبة تتدلى من عمق أبيها وهو يقبلها مرعبا من فرط سرورها ثم يضمها إلى صدره .

وأسندت إلى الواقفة خارج الحجرة رأسها إلى الحائط وبكت في صمت ، ولم تتبين بعد على وجه اليقين ماذا يعنى هذا الذى ترى .

ولما رأت السيدة إلى اللعب المتناثرة ، وإلى الزهر والخوى وقالت لزوجها : « هكذا أنت ؟ من عيد ميلاد ابنتك . ما أجمل ذلك . » ثم التفتت إلى ابنتها قائلة : « اترى ، إلى ! إن هذه الهدايا كلها لك » وراحت السيدة ترى أبنتها تلك الهدايا التي

يضم أبنته إلى صدره ، ومل ، جوانحه الفرح ، ومل ، عينيه الدموع ، وعبثا حاول أن يعرف منها أين أمها : وكان لا يظفر منها كلما سألتها إلا بكلمتين « كانت أمى مريضة ثم تركتني ولم أعد أراها »

وآثر الرجل ألا يسألها بعد ذلك ، فإن ما كان يرسم على وجهها الصغير من رعب كلما سألها كان يتبع في نفسه الألم والرغبة ؛ وإنه يحب أن يحيا أبنته حياة سعيدة ، وأن تسمى ماضيها الحزن المؤلم كل النسيان .

وانقضى عامان كانت فيهما إلى الصغيرة عزاء فرائز عن زوجته التي لا يدرى أحيه هي أم ميتة . وكانت تؤنس أبنته وحشيتها ، وكان يرى فيها أمه ورجاءه في أن يحيا .

وكان أمس عيد ميلادها الخامس : وقد اشترى لها أبوها من ألوان الخوى ومن أشكال اللعب ما أروع نفسها . ولشد ما ابتهجت بعروضها التي افعض عينيها وفتحتها والرجل فرح بفرحة ابنته . ولقد قضى أكثر شهره معها في حديقة الحيوان وفي المساء أحدث سرورها بالأهر والورق السبيح الألوان .

وفي مساء عيدها وبهجتها إلى النذر إلا أن تذوق الصغيرة من الحزن ما لم تنسأ أبدا وإن مات أودل العمر .

سما كانت الرجل وابنته يتناولان عشاءهما في حجرة الطعام إذ ذق جرس

أغدقها زوجها على إلى الأخرى التي لم تكن تعرف السيدة بمد شئنا عنها

عندئذ أدركت الطفلة كل شئ ، فهذه السيدة زوجته ، وهذه الصغيرة التي تدعى إلى كذلك ابنته الحقيقية .. أما هي فلم تكن إلا غلطة فحسب !

وأحسّت الصغيرة فقد أيها كما أحسّت فقد أمها ، وتطارت إلى ذلك الرجل الذي كان أباهما منذ لحظات ، ومثت في جسدها رعدة شديدة ، وشعرت بدل العربة في البيت كله وجرت إلى المطبخ وقبعت في ركن منه وشبهت الرجل فجاء بها بكشف دموعها وقبعتها إلى زوجته وابنته ، ولم يكن يعلم منذ لحظات أن لا رابطة تربطه بهذه اليتيمة البائسة

وجلست إلى المربية صامتة دامعة تنظر من خلال دموعها إلى التي صاحبة البيت والامب والزهو والخلوى ؛ ولبت في مكانها تستمع إلى ما كانت نفسه تلك الأم من أبناء عذابها وحزنها أيام كانت هي وابنتها شريدين ، حيث بهما يد القدر . وانتفضت الصغيرة في رعب ، وقد أوحى لها ما تسمع عذاب أمها وأبيها

وكانت تنظر الصغيرة الحزونة نظرات الشكر والمحبة إلى ذلك الذي كان أباهما منذ لحظات وكانت في حزنها تستشعر الراحة — كما تظن الرجل حين نظر إليها — لما كانت

تري من سمادته يلتقا زوجها وابنته ... ولا أدوا إلى مضاجعهم جميعا رأيا إلى وقد زلت من سريرها ، ومثت نحو العروس التي لم تعد لها ، وربت بكفها الصغيرة على صدر العروس ومسحت شعرها في رفق ، ثم تسلت في مكان إلى خارج المنزل !

ولم تدر أين تذهب ، وراحت تتنقل من شارع إلى شارع حتى أضناها الجهد . ولا حين عليها الليل وأخافها الظلمة أخذت تصبح « أمها ! » حتى وقع عليها رجل البواليس فأخذها إلى الخفر . وهناك كانت الفردى سيدرة عاجزة عن أن تذكر من أبواها

وكان مدير البواليس ورفقاؤه يصنعون في صمت و عسكر إلى الرجل وهو يقص عليهم قصة الصغيرة الضالة . ولقد كان يسميها أثناء حديثه إلى مديره ، وكانت بداها الصغيرتان في قبضته : ولما فرغ خاطبها قائلاً « والآن يا صغيرتي العزيزة هيا بنا إلى المنزل فإن أمك قد أعدت طعام الفطور ، ولا بد أن أختك قد استيقظت الساعة »

وولم يدرك البواليس : « هذا جميل منك يا سيد مدير » ثم جهد في إخفاء حنجرته ، وأمسك دموعه في جهده فليس مما يليق برجل في مثل . عليه أن يظهر بظهور لا يكون مخفر البواليس محالاً له على أي حال

فكر في الحل

مطأ فطبع

وثبت من فراشي ، وضغطت على زر النور .
وما كان أشد فرعى أن أرى زوجتي
هناك ميتة ! فأسرعت إلى التليفون
واستدعت الدكتور ولارد ثم ... »

فتألم رجل البوليس قائلا : « لحظة من
فضحت » وأتجه إلى الطبيب سائلا إياه « ماذا
دل عليه فحصك يا سيدي الطبيب ؟ »

فأجاب الطبيب « نفنت رصاصة من
الكتف ، ودخلت أخرى من الظهر واخرقت
القلب ونفنت من الناحية اليسرى للتسدر ،
وحدثت الوفاة في الحال »

ثم سأله « ألم تمس يدك أي شيء في
الحجرة » أجابته أمها الطبيب ؟

فأجاب الطبيب « لم أمس شيئا »
وسأل الزوج قائلا « وأنت يادانلي ؟ »
فأجاب « لم أمس إلا التليفون ، وكان
البرد قارسا ، فذهبت إلى الحزن وأوقدت نارا »

فتألم رجل البوليس قائلا وهو يفتح
النافذة ليدع شيئا من النور يدخل الحجرة :
« لقد أوقعتها نارا حامية حقا ... ألا إنها
جريمة ذريتها في كثير من الغباء يادانلي ..
اقبض عليه أمها الشاويش »

أثم رجل البوليس السرى فحص الحجرة ،
فوجد كل شيء كما ينبغي أن يكون ، إلا
الجثة والدم على أرض الحجرة وعلى حافة
النافذة . والتفت رجل البوليس إلى ذلك
الشخص الذي يجلس كأنه أبكم أصم على
أحد المقاعد وأخذ يستجوبه

وراج ذلك الشخص يدكر بنا المسألة قال :
« لقد فرغت زوجتي مرات هذه الليلة
من أسوات خارج المنزل ، وكانت تسألني
كل مرة أن أتبين ماهذه الأسوات ، وفعلت
كما طلبت ، ولما لم أجد ما يربب عزوت تلك
الأسوات إلى عات هم أن يخوفنا .. »

« وأوتينا إلى فراشنا كل في سريره
في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .
وبعد ذلك برمن قصير استيقظت على صوت
رحف وهمس . وبعد ثوان ألفت عيناى
الظلمة فاستطعت أن أتبين شبحا في الحجرة
أمام النافذة . فتحسنت موضع مسدسي وكان
تحت النخدة ، وتناولته وأطلقت رصاصتين . ثم

مادا جعل رئيس البوليس يرفض صة الزوج ويخرج أن الحادث جريمة مبررة ؟
مكر في الحل يا سيدي القارىء ، فإذا أعياك ذلك في المدة القادم

(الرواية)